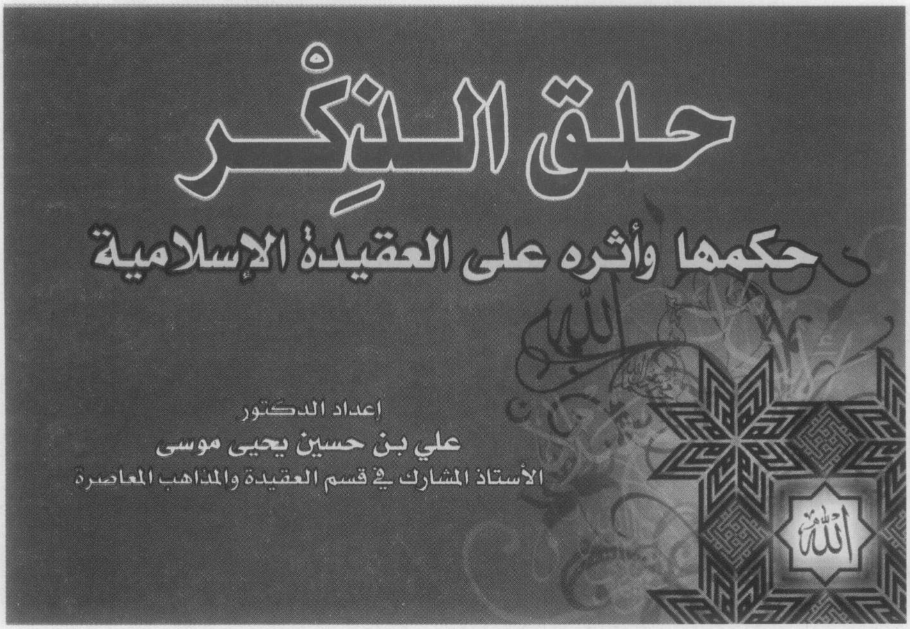


المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

إن ذكر الله تعالى له منزلة رفيعة، ومكانة عظيمة في الشريعة الإسلامية، فهو من أسباب السعادة في الدنيا والآخرة، وهو يورث محبة الله ومراقبته، وبه تحيا القلوب، وتطمئن النفوس.

وهو من أعظم العبادات وأيسرها: «**لا يزال لسانك رطباً بذكر الله تعالى**»، وقد دلّت الأدلة من القرآن والسُّنة على بيان فضله، وعظيم أجره.

وإن من الوسائل المعينة على هذه العبادة العظيمة ـ أعني: ذكر الله تعالى ـ حلق الذكر والذي تظاهرت الأدلة من السُّنة النبوية على بيان فضلها، وجزيل ثواب الحاضرين فيها، وما أعدَّ الله لهم من غفران الذنوب وزيادة الإيمان: «**هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم**».

ولكن الناس في ممارستهم لتلك الحلق والمجالس على طرفي نقيض:

الطرف الأول: جعل حضور تلك المجالس شرطاً لازماً لذكر الله تعالى، وحكم على المتخلف عنها بالعواقب الوخيمة.

بل وزاد الأمر بلة بابتداعه أذكاراً وأدعية وأحزاباً وأوراداً حدد ألفاظها وأعدادها وجعل المداومة عليها أمراً واجباً، وشرطاً لازماً، ورتب على تلك الأذكار المبتدعة والأدعية المخترعة أجوراً عظيمة يفوق بعضها قراءة القرآن الكريم مرات عديدة.

بل وصلت الجرأة بهؤلاء زعمهم بأن تلك الأوراد والأحزاب تلقوها عن رسول الله ﷺ، وبعض الطرق زادت كذباً وبهتاناً بدعواهم أنهم تلقوا تلك الأذكار والأدعية عن الله تعالى مباشرة وذلك من خلال المكاشفات والمنامات.

والطرف الآخر: منع حلق الذكر ومجالسه سداً للذريعة وحتى لا يفتح باب البدعة والضلالة، ثم خصص النصوص الواردة في فضل حلق الذكر ومجالسه والاجتماع له في الدروس العلمية كعلم العقيدة والفقه والتفسير وقراءة الحديث النبوي وفي تعليم الناس أمور دينهم، ومجالس الحلال والحرام والمواعظ والإرشاد ونحو ذلك.

ولعل من أهم أسباب تلك الآراء المتباينة في المراد بحلق الذكر البيئة والمكان، فمن عاش في بيئة ومكان عرف عن أهلها الاهتمام بتلك الحلق والمجالس دافع عنها ومارس ما كان يفعلها أهل بيئته وبلده، ومن عاش في بيئة ومكان لم يمارس أهلها تلك الحلق والمجالس حاول أن يخصصها في الدروس العلمية وتعليم الناس الحلال والحرام.

والمتأمل في الأحاديث النبوية يلحظ أن الرسول ﷺ بيَّن فضل حلق الذكر والاجتماع له وأنها رياض من رياض الجنة في أحاديث كثيرة، وأثنى

على من حضر تلك المجالس، وبشرهم ببشارات كثيرة كمغفرة الذنوب وأن الله تعالى يباهي بهم الملائكة، وأنهم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم ونحو ذلك.

فما المقصود بحلق الذكر؟ وما حكم الاجتماع للذكر والتحلق له؟ وما أثر ذلك على العقيدة الإسلامية؟

إن الإجابة على هذه التساؤلات يتبين من خلالها أهمية هذا الموضوع «**حلق الذكر حكمها وأثره على العقيدة الإسلامية**»، والذي تتكون خطته من: مقدمة، ومدخل الدراسة، وأربعة مباحث على النحو الآتي:

- **المقدمة:** وتشتمل على أهمية الموضوع وخطته.
- مدخل الدراسة ويشمل:

١ ـ الدراسات السابقة.

٢ ـ التعريف بمصطلحات البحث.

المبحث الأول: أهمية الذكر وبيان فضله.

المبحث الثاني: الأدلة على فضل حلق الذكر ومشروعية الاجتماع له.

المبحث الثالث: الجهر بالذكر بين الجواز والمنع.

المبحث الرابع: أثر حلق الذكر على العقيدة الإسلامية.

وتحته خمسة مطالب:

المطلب الأول: حكم الاجتماع لذكر الله تعالى.

المطلب الثاني: حكم الذكر الجماعي.

المطلب الثالث: حكم إهداء الذكر الجماعي للميت.

المطلب الرابع: حكم المداومة على حلق الذكر.

المطلب الخامس: حكم إحصاء الذكر في الحلق.

الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث.

مدخل الدراسة

١ ـ الدراسات السابقة:

لأهمية ذكر الله تعالى في الشريعة الإسلامية ولحاجة المسلم في اليوم والليلة للأذكار المأثورة، اهتم كثير من الباحثين والمؤلفين قديماً وحديثاً بجمع أحاديث الأذكار الواردة عن الرسول ﷺ وهذه المؤلفات على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: من اهتموا بجمع الأحاديث النبوية وهؤلاء خصصوا في كتبهم ومؤلفاتهم الأحاديث الواردة في ذكر الله تعالى وجعلوا لها كتباً وأبواباً وفصولاً، ومن هؤلاء أصحاب الكتب الستة.

القسم الثاني: أفرد كثير من العلماء الأذكار والأدعية المأثورة في مصنفات وكتب مستقلة، ومن هؤلاء الإمام النووي فقد ألف كتاباً سماه «الأذكار» جمع فيه ما يحتاجه المسلم في حياته من الأدعية والأذكار والآداب وغيرها.

والإمام ابن القيم ألف كتاباً سماه «الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب» جمع فيه ما يحتاجه المسلم في يومه وليلته من الأذكار والأدعية والآداب وغيرها، وبدأ كتابه بالحديث عن أهمية الذكر وفوائده للمسلم.

القسم الثالث: دراسات علمية اهتمت بالذكر من حيث الاتباع والابتداع.

ومن هذه الدراسات كتاب «ذكر الله تعالى بين الاتباع والابتداع» للشيخ عبدالرحمن محمود خليفة، وهي رسالة ماجستير قدمت في جامعة أم القرى، وقد تناول الباحث فيها الأذكار الشرعية وآدابها والأذكار البدعية وخطرها،

وتوصل بأن التقيد بالأذكار الشرعية فيه أداء لحق الله تعالى على عباده ووفاء بحق الرسول ﷺ وفيه نصح للأمة، وأن الأذكار البدعية فيها إضاعة لحق الله تعالى على عباده وخيانة للرسول ﷺ.

والدراسة الثانية: «الذكر الجماعي بين الاتباع والابتداع» د. محمد عبدالرحمن الخميسي، وقد تناول الباحث أدلة القائلين بجواز الذكر الجماعي وأدلة المانعين، ثم رجح بأن الذكر الجماعي ليس له أصل في دين الله تعالى، وأن نشر هذه البدعة كان بقوة السلطان على يد المأمون في العصر العباسي.

٢ ـ التعريف بالمصطلحات:

أولاً: حِلَق الذِّكْر:

ورد في كتب اللغة أن الحلقة بمعنى الدائرة، فيقال: حلّق القمر، صارت حوله دائرة.

ويقال: حلّق على اسم فلان، جعل حوله حلقة، وتحلّق القوم: جلسوا حلقة، وتحلّقوا: جلسوا حلقة حلقة.

والحلقة: كل شيء استدار كحلقة الباب والذهب والفضة، ويقال: حلقة القوم، دائرتهم.

وتلقى العلم في حلقة فلان: في مجلس علمه[(١)].

أما الذكر في اللغة فهو:

ذكر الشيء ذِكراً، وذُكراً، وذِكرَى، وتذكاراً: حفظه واستحضره وجرى على لسانه بعد نسيانه.

---

(١) الفيروزآبادي: القاموس المحيط ص٧٨٨، ومجموعة من الباحثين: المعجم الوسيط (١٩٢/١ ـ ١٩٣).

والذِّكر بالكسر: الحفظ للشيء، كالتذكار، والشيء يجري على اللسان والصيت.

وبالضم: الثناء والشرف والصلاة لله تعالى والدعاء[1].

أما الذكر في الاصطلاح، فقد جاء في الموسوعة الفقهية بأن الذكر هو: كل قول سيق للثناء والدعاء.

أي: بمعنى ما تعبدنا الشارع بلفظ منا يتعلق بتعظيم الله تعالى، والثناء عليه بأسمائه وصفاته وتمجيده وتوحيده وشكره وتعظيمه، أو بتلاوة كتابه، أو بمسألته ودعائه[2].

وعرف الإمام النووي الذكر بأنه يشمل كل أنواع الذكر اللساني والقلبي فقال: «ذكر الله تعالى ضربان: ذكر بالقلب، وذكر باللسان، وذكر القلب نوعان:

أحدهما: وهو أرفع الأفكار وأجلها: الفكر في عظمة الله تعالى وجلاله وجبروته وملكوته وآياته في سماواته وأرضه.

والثاني: ذكر بالقلب عند الأمر والنهي، فيتمثل ما أمر به، ويترك ما نهى عنه، ويقف عما أشكل عليه»[3].

وعرف الإمام ابن حجر الذكر فقال: «الإتيان بالألفاظ التي ورد الترغيب في قولها والإكثار منها مثل الباقيات الصالحات «سبحان الله والحمد لله والله أكبر» وما يلحق بها من الحوقلة والبسملة والحسبلة والاستغفار ونحو ذلك والدعاء بخيري الدنيا والآخرة»[4].

---

(١) القاموس المحيط ص٣٥٧، والمعجم الوسيط (٣١٣/١).
(٢) الموسوعة الفقهية (٢٢٠/٢١).
(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (١٥/٩).
(٤) فتح الباري (٢٥٠/١١).

وخلاصة القول، فإن ذكر الله تعالى يشمل التفكر في عظمة الخالق سبحانه وتعالى وآياته في السماوات والأرض والثناء عليه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى بما هو أهله وسؤاله الحاجات ودعائه كشف الكربات، ويشمل امتثال أوامره واجتناب نواهيه والوقوف فيما أشكل عليه.

أما تعريف حلق الذكر، فقد عرفها الإمام ابن حجر فقال: «المراد بمجالس الذكر وأنها تشتمل على ذكر الله تعالى بأنواع الذكر الواردة من تسبيح وتكبير وغيرهما، وعلى تلاوة كتاب الله سبحانه وتعالى وعلى الدعاء بخيري الدنيا والآخرة»(١).

وبناءً على هذا التعريف وتخصيص هذه المجالس بالتسبيح والتكبير والتحميد والثناء على الله تعالى، وعلى تلاوة كتاب الله تعالى وعلى الدعاء بخيري الدنيا والآخرة.

هل تدخل في تلك المجالس والحلق مدارسة العلم الشرعي والوعظ والإرشاد وقراءة الحديث النبوي ونحو ذلك؟

وقد سأل الإمام ابن حجر هذا السؤال ثم أجاب عنه فقال: «وفي دخول قراءة الحديث النبوي ومدارسة العلم الشرعي ومذاكرته والاجتماع على صلاة النافلة في هذه المجالس نظر، ثم حاول أن يرجح ما يراه فقال: والأشبه اختصاص ذلك بمجالس التسبيح والتكبير ونحوهما والتلاوة فحسب وإن كانت قراءة الحديث ومدارسة العلم والمناظرة فيه من جملة ما يدخل تحت مسمى ذكر الله تعالى»(٢).

أما الإمام النووي فلم يحصر مجالس الذكر في التسبيح والتحميد والثناء على الله تعالى، بل جعلها عامة لكل الطاعات لله تعالى فقال: «اعلم أن فضيلة الذكر غير منحصرة في التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير

(١) المصدر السابق (١١/٢٥٤).

(٢) المصدر السابق (١١/٢٥٤).

ونحوها، بل كل عامل لله تعالى بطاعة فهو ذكر الله تعالى»، كذا قاله سعيد بن جبير رضي الله عنه وغيره من العلماء.

وقال عطاء رحمه الله: مجالس الذكر هي مجالس الحلال والحرام[(١)].

والذي يترجح أن حلق الذكر الأصل فيها التسبيح والتحميد وتمجيد الله تعالى والثناء عليه، وإن كان يدخل في تلك المجالس والحلق طلب العلم وتذكير المسلمين ووعظهم وإرشادهم ومذاكرة العلم الشرعي ومدارسته وقراءة الحديث النبوي ونحو ذلك.

ثانياً: تعريف العقيدة الإسلامية:

العقيدة لغة: العقد نقيض الحل، ويقال: عقد الحبل والبيع والعهد بعقدة: سد عنقه إليه[(٢)].

والعقد: العهد، وعقود النكاح والبيع وجوبهما، قال الفارسي: هو من الشد والربط[(٣)].

والعقيدة: الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده[(٤)].

وخلاصة القول: فإن العقيدة في لغة العرب مأخوذة من عقد البيع وتطلق على الشد والربط وعلى ما يدين به المرء ويعتقده.

وفي الاصطلاح: العقيدة هي «الإيمان الجازم والحكم القاطع الذي لا يتطرق إليه الشك لدى المعتقد»[(٥)]. أي: بمعنى ما يستقر في قلب الإنسان من معتقدات لا يتطرق إليها شك ولا يخالطها ريب.

---

(١) الأذكار ص٣٠.

(٢) القاموس المحيط ص٢٧٢.

(٣) لسان العرب (٣/٢٩٦ ـ ٣٠٠).

(٤) المعجم الوسيط (٣/٦١٤).

(٥) عقيدة أهل السُّنة وموقف الحركات الإسلامية المعاصرة منها (د. العقل) ص٩.

والعقيدة الإسلامية تقوم على أصول وأسس راسخة هي الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، «وإذا رسخت هذه الأركان والأسس في القلب فإنها تحرر العقل والفكر من التخبط والفوضى الناشئ عن خلو القلب من هذه العقيدة، وتكسب النفس الراحة وتبني أمة قوية تبذل كل غال ورخيص في تثبيت دينها وتوطيد دعائمه وإصلاح الأفراد والجماعات»[1]، وحفظ حقوق الآخرين والاهتمام بهم كما يتضح ذلك من خلال النصوص الشرعية وتاريخ المسلمين المجيد.

(١) رسائل في العقيدة (ابن عثيمين) ص٤٣ ـ ٤٤.

المبحث الأول:

أهمية الذكر وبيان فضله

مما لا شك فيه أن ذكر الله تعالى منزلته رفيعة، ومكانته عظيمة في الشريعة الإسلامية فهو من أفضل العبادات وأعلى القربات، وأحب الأعمال الصالحة عند الله تعالى.

وتظاهرت الأدلة من القرآن والسُّنة على مشروعيته، وتنوعت في بيان فضله، وجزيل أجر الذاكرين الله عز وجل وعظيم ثوابهم، وتظهر أهمية الذكر وفضله في كثرة الأدلة عليه من القرآن والسُّنة وهاك طرفاً منها:

أولاً: في القرآن الكريم:

- جاء الأمر بذكر الله تعالى مطلقاً ومقيداً قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب: ٤١ ـ ٤٣].

- وجاء الثناء على أهله وما لهم من الجزاء والأجر العظيم والثواب الجزيل قال تعالى: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب: ٣٥].

- وفي موطن آخر ذكر الله تعالى بأن الذكر أكبر من كل شيء قال

تعالى: ﴿ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [العنكبوت: ٤٥].

قال الإمام ابن القيم معلقاً على هذه الآية: وفيها أربعة أقوال:

أحدها: ذكر الله أكبر من كل شيء فهو أفضل الطاعات، لأن المقصود بالطاعات كلها إقامة ذكره، فهو سر الطاعات وروحها.

الثاني: أن المعنى: أنكم إذا ذكرتموه ذَكركم، فكان ذكره لكم أكبر من ذكركم له، فعلى هذا المصدر مضاف إلى الفاعل وعلى الأول مضاف إلى المذكور.

الثالث: أن المعنى ولذكر الله أكبر من أن يبقى معه فاحشة ومنكر، بل إذا تم الذكر محق كل خطيئة ومعصية هذا ما ذكره المفسرون.

الرابع: سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يقول: «معنى الآية: أن في الصلاة فائدتين عظيمتين، إحداها: نهيها عن الفحشاء والمنكر، والثانية: اشتمالها على ذكر الله تعالى وتضمنها له، ولما تضمنته من ذكر الله أعظم من نهيها عن الفحشاء والمنكر».

ثم قال: ولعل في الآية معنى آخر: أن الصلاة هي أكبر الذكر فقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾﴾ [طه: ١٤]، وهي أكبر وأقوى وأشد ناهٍ عن الفحشاء والمنكر(١).

وتظهر أهمية ذكر الله تعالى بأنه ختمت به أفضل العبادات والأعمال الصالحة، فقد ختم الله تعالى به عبادة الصيام بقوله تعالى: ﴿وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ [البقرة: ١٨٥].

---

(١) تهذيب مدارج السالكين ص٤٦٥.

وختم الله تعالى بالذكر مناسك الحج قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة: ٢٠٠].

وختم الله تعالى به الصلاة فبعد الانتهاء منها شُرع ذكر الله قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ۚ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾﴾ [النساء: ١٠٣].

وختم الله تعالى به صلاة الجمعة فأمر بالذكر بعدها قال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الجمعة: ١٠].

- وورد الذكر مصاحباً لجميع العبادات والأعمال الصالحة ومقترناً بها بل هو أصلها وأساسها وروحها قال تعالى عن الذكر في الصلاة: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾﴾ [طه: ١٤].

- والذكر لا يستغني عنه العبد طرفة عين بل يجب على العبد أن يذكر الله كذكره لآبائه أو أشد، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة: ٢٠٠].

قال ابن القيم: «ففيه الأمر بالكثرة والشدة لحاجة العبد إليه، وعدم استغنائه عنه طرفة عين، فأي لحظة خلا فيها العبد عن ذكر الله ﷻ كانت عليه لا له، وكان خسرانه فيها عظيم مما ربح في غفلته عن الله»(١).

وقرن الله تعالى الذكر بالجهاد في سبيل الله وأمر الله تعالى عباده بذكره عند ملاقاة الأعداء، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنفال: ٤٥].

---

(١) الوابل الصيب لابن القيم ص٧٩.

وعلق الله سبحانه وتعالى الفلاح والنجاح بالاستدامة على الذكر وكثرته فقال تبارك وتعالى: ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الجمعة: ١٠].

ثانياً: السُّنة:

فقد تنوعت الأدلة من الأحاديث الصحيحة في الحث على الذكر وبينت فضل المداومة عليه، ومدحت الذاكرين لله تعالى وبينت ما لهم من الأجر العظيم والثواب الجزيل، فالذاكرون الله تعالى هم السابقون الأولون كما جاء في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: «كان رسول الله ﷺ يسير في طريق مكة فمر على جبل يقال له: جمدان فقال: **«سيروا، هذا جمدان سبق المفردون»**، قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: **«الذاكرون الله كثيراً والذاكرات»**[(١)].

وفي مسند الإمام أحمد من حديث أبي الدرداء ﷺ أن النبي ﷺ قال: **«ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إعطاء الذهب والفضة، وأن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟»** قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: **«ذكر الله»**[(٢)].

وفي الصحيحين من حديث أبي موسى ﷺ عن النبي ﷺ قال: **«مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكره مثل الحي والميت»**[(٣)].

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الذكر والدعاء والاستغفار باب الحث على ذكر الله (٢٠٦٢/٤) رقم ٢٦٧٦.

(٢) أخرجه الترمذي كتاب الدعوات باب ما جاء في فضل الذكر (٤٥٩/٥) رقم ٣٣٧٧، وابن ماجه كتاب الأدب باب فضل الذكر (١٢٤٥/٢) رقم ٣٧٩٠، وأحمد في المسند (١٩٥/٥).

(٣) أخرجه البخاري كتاب الدعوات باب فضل ذكر الله ﷻ (٢٣٥٣/٥) رقم ٦٠٤٤، مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب استحباب صلاة النافلة في بيته (٥٣٩/١) رقم ٧٧٩.

وفي الحديث القدسي قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل: «**من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم**»(١).

وفي جامع الترمذي عن عبدالله بن بسر رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت علي فأخبرني بشيء أتشبث به قال ﷺ: «**لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله**»(٢).

بل ورد في السُّنة بأن ذكر الله تعالى هو روح الحج وأهم مقاصده كما في الحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي ﷺ: «**إنما جعل الطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار لإقامة ذكر الله**»(٣).

وتظهر أهمية الذكر في أنه أسهل العبادات وأعظمها، لأنه يفعل في كل الأحيان وفي حالة القيام والقعود والاضطجاع ففي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يذكر الله تعالى على كل أحيانه»(٤).

ويظهر أهمية الذكر في فوائده الكثيرة والمتنوعة على الذاكرين الله تعالى، فقد أحصى الإمام ابن القيم قرابة مائة فائدة للذكر فقال: «وفي الذكر نحو مائة فائدة: فهو يطرد الشيطان، ويرضي الرحمن، ويزيل الهم والغم

(١) أخرجه البخاري كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾، وقوله جل ذكر: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ (٢٦٩٤/٦) رقم ٦٩٦٩، مسلم كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب الحث على ذكر الله تعالى (٢٠٦١/٤) رقم ٢٦٧٥.

(٢) أخرجه الترمذي كتاب الدعوات باب ما جاء في فضل الذكر (٤٥٨/٥) رقم ٣٣٧٥.

(٣) أخرجه أبو داود كتاب المناسك باب في الرمل (١٧٩/٢) رقم ١٨٨٨، وأحمد في المسند (٩٤/٦).

(٤) أخرجه مسلم كتاب الحيض باب ذكر الله تعالى في حال الجنابة وغيرها (٢٨٢/١) رقم ٣٧٣.

عن القلب، ويجلب له الفرح والسرور والبسط، ويقوي البدن، وينور الوجه، ويجلب الرزق، ويكسو الذاكر المهابة والحلاوة والنضرة، ويورث الذاكر محبة الله تعالى فسبب ذلك دوام الذكر.

والذكر يزيل الوحشة بين العبد وبين ربه تبارك وتعالى، فالغافل بينه وبين ربه وحشة لا تزول إلا بالذكر، والذكر سبب اشتغال اللسان عن الغيبة والنميمة والكذب والفحش والباطل، فإن البدن لا بد له من أن يتكلم، فإن لم يتكلم بذكر الله تعالى وذكر أوامره، تكلم بهذه المحرمات أو بعضها ولا سبيل إلى السلامة منها إلا بذكر الله تعالى.

إن مجالس الذكر مجالس الملائكة، إن الذكر مع البكاء في الخلوة سبب لإظلال الله تعالى يوم الحشر الأكبر في ظل عرشه، ثم إنه أيسر العبادات وهو من أجلها وأفضلها، ثم إن في الاشتغال بالذكر اشتغالاً عن الكلام بالباطل من الغيبة والنميمة واللغو ومدح الناس وذمهم وغير ذلك.

وخلاصة القول: فإن اللسان لا يسكت البتة، فإما لسان ذاكر، وإما لسان لاغ، ولا بد من أحدهما، فهي النفس إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل، وهو القلب إن لم تسكنه محبة الله ﷻ سكنه محبة المخلوقين ولا بد، وهو اللسان إن لم تشغله بالذكر شغلك باللغو وهو عليك ولا بد، فاختر لنفسك إحدى الخطتين وأنزلها في إحدى المنزلتين»[(١)].

---

(١) انظر: الوابل الصيب ص٨٤ وما بعدها.

المبحث الثاني:

الأدلة على فضل حلق الذكر ومشروعية الاجتماع له

تظاهرت الأدلة من السُّنة النبوية على بيان فضل حلق الذكر وفضل الاجتماع لتلاوة القرآن الكريم والندب إلى ملازمة تلك المجالس والحلق، والنهي عن مفارقتها، وبينت ما للذاكرين من الأجر العظيم والثواب الجزيل، وكثير من تلك الأحاديث وضعت لها أبواباً في كتب الصحاح.

فمن ذلك مثلاً: الإمام مسلم جمع طائفة منها في كتابه الصحيح ووضع لها باباً سماه «باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن الكريم وعلى الذكر»[1].

والإمام الترمذي جمع طائفة أخرى في كتابه الجامع ووضع لها باباً سماه «باب ما جاء في القوم يجلسون فيذكرون الله تعالى ما لهم من الفضل»[2].

والإمام النووي في كتابه رياض الصالحين وضع باباً سماه: «باب فضل حلق الذكر والندب إلى ملازمتها والنهي عن مفارقتها لغير عذر»[3]،

---

(١) صحيح مسلم (٢٠٧٤/٤).

(٢) سنن الترمذي (٤٥٩/٥).

(٣) رياض الصالحين ص٥٤٥.

ثم ساق تحته جملة من الأحاديث ابتدأها بقوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ [الكهف: ٢٨].

قال ابن كثير عند تفسير هذه الآية: «أي: اجلس مع الذين يذكرون الله ويهللونه ويحمدونه ويكبرونه ويسألونه بكرة وعشياً من عباد الله سواء كانوا فقراء أو أغنياء أو أقوياء أو ضعفاء»(١).

ومن تلك الأحاديث التي تدل على فضل الاجتماع للذكر وفضل مجالسه وحلقه ما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا جاءوا قوماً يذكرون الله تنادوا هلموا إلى حاجتكم،** قال: **فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا،** قال: **فيسألهم ربهم ﷻ وهو أعلم منهم ما يقول عبادي؟** قال: **تقول: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك** قال: **فيقول: هل رأوني؟** قال: **فيقولون لا والله ما رأوك،** قال: **فيقول: كيف لو رأوني؟** قال: **يقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيداً وأكثر لك تسبيحاً،** قال: **يقول: فما يسألوني؟**، قال: **يسألونك الجنة،** قال: **يقول: وهل رأوها؟**، قال: **يقولون: لا والله يا رب ما رأوها،** قال: **فيقول: فكيف لو أنهم رأوها؟** قال: **يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصاً وأشد لها طلباً وأعظم فيها رغبة.** قال: **فمما يتعوذون؟** قال: **يقولون من النار،** قال: **يقول وهل رأوها؟**، قال: **فيقولون: لا والله يا رب ما رأوها،** قال: **يقول كيف لو رأوها؟** قال: **يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فراراً وأشد لها مخافة،** قال: **فيقول: فأشهدكم أني قد غفرت لهم،** قال: **يقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة.** قال: **هم الجلساء لا يشقى جليسهم»** وفي رواية لمسلم: **«إن لله ملائكة سيارة فضلاً يتبعون**

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٣/٨٠).

مجالس الذكر فإذا وجدوا مجلساً فيه ذكر قعدوا حف بعضهم بعضاً بأجنحتهم...». الحديث[1].

فقد دل الحديث على مشروعية الاجتماع للذكر وبيان فضل مجالسه وحلقه، وما للحاضرين من الأجر العظيم حتى من ليس منهم يحصل على ما يحصلون عليه من مغفرة الذنوب، فهم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم، قال ابن حجر: «وفي الحديث فضل مجالس الذكر والذاكرين، وفضل الاجتماع على ذلك، وأن جليسهم يندرج معهم في جميع ما يتفضل الله تعالى عليهم إكراماً لهم ولو لم يشاركهم في أصل الذكر»[2].

وفي صحيح مسلم عن أبي سعيد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده»**[3].

وفي صحيح مسلم أيضاً عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: خرج معاوية ﷺ على حلقة في المسجد فقال: ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله، قال: آلله ما أجلسكم إلا ذاك؟ قالوا: ما أجلسنا إلا ذاك قال: أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم وما كان أحد بمنزلتي من رسول الله ﷺ أقل عنه حديثاً مني: إن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه فقال: **«ما أجلسكم؟»** قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ومنّ به علينا قال: **«آلله ما أجلسكم إلا ذاك؟»** قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك،

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الدعوات بَاب فَضْلِ ذِكْرِ اللَّهِ عز وجل (٥/٢٣٥٣) رقم ٦٠٤٥، ومسلم كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار بَاب فَضْلِ مَجَالِسِ الذِّكْرِ (٤/٢٠٦٩) رقم ٢٦٨٩.

(٢) فتح الباري (١١/٢٥٥).

(٣) أخرجه مسلم كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار بَاب فَضْلِ الِاجْتِمَاعِ على تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَعَلَى الذِّكْرِ (٤/٢٠٧٤) رقم ٢٧٠٠.

قال: **«أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم ولكنه أتاني جبريل فأخبرني أن الله يباهي بكم الملائكة»**(١).

وفي سنن أبي داود من حديث أنس بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ قال: **«لأن أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من صلاة الغداة حتى تطلع الشمس، أحب إلي من أن أعتق أربعة من ولد إسماعيل، ولأن أقعد مع قوم يذكرون الله من صلاة العصر إلى أن تغرب الشمس، أحب إلي من أن أعتق أربعة»**(٢).

والأحاديث في فضل مجالس الذكر وحلقه، وفضل الاجتماع عليه كثيرة جداً وكلها تدل دلالة صريحة واضحة على مشروعية الاجتماع للذكر بل واستحبابه والندب له، قال الإمام النووي: «اعلم أنه كما يستحب الذكر يستحب الجلوس في حلق أهله، وقد تظاهرت الأدلة على ذلك.. ويكفي في ذلك حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا»**، قالوا: وما رياض الجنة يا رسول الله؟ قال: **«حلق الذكر(٣)، فإن لله تعالى سيارات من الملائكة يطلبون حلق الذكر، فإذا أتوا عليهم حفوا بهم»**(٤).

وعن أبي واقد الحارث بن عوف ﷺ أن رسول الله ﷺ بينما هو جالس في المسجد والناس معه إذ أقبل ثلاثة نفر فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ فوقفا على رسول الله ﷺ، فأما أحدهما: فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها، وأما الآخر: فجلس خلفهم، وأما الثالث: فأدبر ذاهباً، فلما فرغ رسول الله ﷺ قال: **«ألا أخبركم عن النفر الثلاثة: أما أحدهم:**

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار بَاب فَضْلِ الِاجْتِمَاعِ على تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَعَلَى الذِّكْرِ (٤/٢٠٧٥) رقم ٢٧٠١.

(٢) أخرجه أبو داود كتاب العلم باب في القصص (٣/٣٢٤) رقم ٣٦٦٧.

(٣) أخرجه الترمذي كتاب الدعوات (٥/٥٣٢) رقم ٣٥٠٨، وأحمد في المسند (٣/١٥٠).

(٤) الأذكار للإمام النووي ص٢٨ ـ ٢٩.

فأوى إلى الله فآواه الله، وأما الآخر: فاستحيا فاستحيا الله منه، وأما الآخر: فأعرض فأعرض الله عنه». متفق عليه[1].

ومن خلال هذه الأدلة في فضل حلق الذكر ومشروعية الاجتماع له تتحقق أمور كثيرة للمجتمعين والحاضرين لهذه المجالس ومن ذلك:

١ ـ أن الملائكة تحفهم، والسكينة تغشاهم، والرحمة تنزل عليهم، ويذكرهم الله تعالى في الملأ الأعلى، كما في حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده»**[2].

٢ ـ أن هذا العمل ـ أعني: الاجتماع للذكر ـ من خير الأعمال وأكثرها أجراً، فقد روى الإمام أحمد عن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم»**، قالوا: بلى، قال: **«ذكر الله»**[3].

٣ ـ ثم إن هذه المجالس ـ أعني: حلق الذكر ـ شبهها الرسول ﷺ برياض الجنة، فهل بعد هذا من فضل، قال رسول الله ﷺ: **«إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا»**، قالوا: وما رياض الجنة؟ قال: **«حلق الذكر»**[4].

٤ ـ وأن هذه المجالس ـ أعني: حلق الذكر ـ تزيد الإيمان كما في صحيح مسلم عن حنظلة الأسيدي قال: لقيني أبو بكر فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قال: قلت: نافق حنظلة، قال: سبحان الله ما تقول؟ قال: قلت:

---

(١) أخرجه البخاري كتاب العلم بَاب من قَعَدَ حَيْثُ يَنْتَهِي بِهِ الْمَجْلِسُ وَمَنْ رَأَى فُرْجَةً في الْحَلْقَةِ فَجَلَسَ فيها (٣٦/١) رقم ٦٦، ومسلم كتاب السلام بَاب من أتى مَجْلِسًا فَوَجَدَ فُرْجَةً فَجَلَسَ فيها وَإِلاَّ وَرَاءَهُمْ (١٧١٣/٤) رقم ٢١٧٦.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) سبق تخريجه.

نكون عند رسول الله يذكرنا بالنار والجنة حتى كأننا نراها، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عدنا إلى أزواجنا وأولادنا ومعاشنا فنسينا كثيراً، قال أبو بكر: فوالله إنا لنلقى مثل هذا، فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ قلت: نافق حنظلة يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: **«وما ذاك؟»** فقلت يا رسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا نراهما بأعيننا، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيراً، فقال رسول الله ﷺ: **«والذي نفسي بيده إنكم لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة»**(١).

٥ ـ حرص الصحابة ﷺ على مجالس الذكر وحلقه والمداومة عليها وتسميتها إيماناً لأنها تزيد الإيمان، كما جاء عن معاذ بن جبل ﷺ قال لرجل: «اجلس بنا نؤمن ساعة»(٢).

٦ ـ ومما يميز مجالس الذكر عن غيرها من المجالس تحذير المصطفى ﷺ من مجالس أهل الغفلة والسوء، وهي التي لا يذكر الله تعالى فيها، جاء في سنن أبي داود: **«ما من قوم جلسوا مجلساً وتفرقوا منه إلا كأنما تفرقوا عن جيفة حمار، وكان عليهم حسرة يوم القيامة»**(٣).

وفي الحديث الآخر: **«ما قعد قوم مقعداً لا يذكرون الله ﷻ، ولا يصلون على النبي إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة، وإن دخلوا الجنة للثواب»**. رواه الإمام أحمد(٤).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب التوبة بَاب فَضْلِ دَوَامِ الذِّكْرِ وَالْفِكْرِ فِي أُمُورِ الآخِرَةِ وَالْمُرَاقَبَةِ وَجَوَازِ تَرْكِ ذلك في بَعْضِ الْأَوْقَاتِ وَالِاشْتِغَالِ بِالدُّنْيَا (٢١٠٦/٤) رقم ٢٧٥٠.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٦٤/٦) رقم ٣٠٣٦٣.

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٣٩٨/٢).

(٤) أخرجه أحمد في المسند (٤٦٣/٢).

المبحث الثالث:

الجهر بالذكر بين الجواز والمنع

فقد دلت النصوص الشرعية من القرآن والسُّنة ـ كما تقدم ـ على مشروعية ذكر الله تعالى وأنه من أفضل القربات والعبادات التي يتقرب بها العبد إلى ربه.

فما هي الصورة التي تؤدى بها هذه العبادة العظيمة؟ أعني هل يكون ذكر الله تعالى جهراً؟

ولتوضيح هذه المسألة «الجهر بالذكر بين الجواز والمنع» يكون البحث في مطلبين:

المطلب الأول: أدلة القائلين بأن الذكر لا يكون إلا سراً ومناقشتها.

المطلب الثاني: أدلة القائلين بأنه يجوز الجهر بالذكر ومناقشتها ثم الترجيح في هذه المسألة.

المطلب الأول:

أدلة القائلين بأن الذكر لا يكون إلا سراً

من أهم الأدلة التي استدل بها أصحاب هذا القول:

١ ـ قوله تعالى: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٥]

٢ ـ أي: اذكره سراً تذللاً وخوفاً منه تعالى وفوق السر دون الجهر، أي: قصداً بينهما بالغدو والآصال أول النهار وآخره ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ عن ذكر الله تعالى.

قال مجاهد وابن جريج: أمر أن يذكروه في الصدور بالتضرع إليه بالدعاء.

وقال ابن جريج: يكره رفع الصوت والنداء والصياح في الدعاء، ويؤمر بالتضرع والاستكانة[١].

وقال البيضاوي: واذكر ربك في نفسك عام في الأذكار من القراءة والدعاء وغيرهما، أو أمر للمأموم بالقراءة سراً بعد فراغ الإمام عند قراءته كما هو مذهب الشافعي ﷺ، ﴿تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾ متضرعاً وخائفاً ﴿وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ ومتكلماً كلاماً فوق السر دون الجهر فإنه أدخل للخشوع والإخلاص[٢].

وقال ابن عباس في تفسير هذه الآية: «يعني بالذكر القراءة في الصلاة يريد يقرأ سراً في نفسه، ﴿تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾ خوفاً أي: تتضرع إلي وتخاف مني هذا في صلاة السر، وقوله: ﴿وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ أراد في صلاة الجهر لا تجهر جهراً شديداً بل في خفض وسكون تسمع من خلفك[٣].

٣ ـ قوله تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأعراف: ٥٥].

فسر الاعتداء في الآية بالجهر بالدعاء[٤]، وفسر أيضاً بأمور منها:

رفع الصوت في الدعاء، قال ابن جريج: من الاعتداء رفع الصوت

---

(١) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن (الطبري) (١٦٥/٦) وتفسير القرآن العظيم (ابن كثير) (٢٢٢/٢).

(٢) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) ص(٢٣٣).

(٣) انظر: تفسير البغوي (٢٢٦/٢)، وتفسير القرطبي (٢٢٥/٧)، والدر المنثور (٤٢٥/٦ - ٤٢٩).

(٤) انظر: تفسير البيضاوي ص٢٠٨.

والنداء بالدعاء والصياح حكاه عن البغوي في تفسيره[1].

٤ ـ مما جاء في الحض على ترك الجهر بالذكر والدعاء قوله تعالى: ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧﴾ [طه: ٧].

الجهر بالقول هو رفع الصوت به، والسر ما حدث به الإنسان غيره وأسره إليه، والأخفى من السر هو ما حدث به الإنسان نفسه وأخطره بباله.

والمعنى: إن تجهر بذكر الله ودعائه فاعلم أنه غني عن ذلك، فإنه يعلم السر وما هو أخفى من السر، فلا حاجة لك إلى الجهر بالقول، وفي هذا معنى النهي عن الجهر كقوله سبحانه: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾[2].

٥ ـ واستدلوا أيضاً بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۝١١٠﴾ [الإسراء: ١١٠]، قالت عائشة رضي الله عنها: «أنزل ذلك في الدعاء». رواه البخاري[3].

وقال المروذي: سمعت أبي عبدالله ـ يعني: الإمام أحمد بن حنبل ـ يقول: «ينبغي أن يسر دعاءه لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۝١١٠﴾ قال: هذا في الدعاء».

قال وسمعت أبا عبدالله يقول: «وكانوا يكرهون أن يرفعوا أصواتهم بالدعاء»[4].

وخلاصة القول، أن الجهر بذكر الله تعالى فيه مخالفة ما أمر الله به من خفض الصوت بالذكر والدعاء وارتكاب ما نهى الله عنه ورسوله من رفع الصوت بذلك.

---

(١) انظر: تفسير البغوي (٢/١٦٦) وتفسير ابن كثير (٣/٤٢٤).
(٢) انظر: فتح القدير للإمام الشوكاني (٣/٤٤٤).
(٣) أخرجه البخاري كتاب الدعوات باب الدعاء في الصلاة (٥/٢٣٣١) رقم ٥٩٦٨.
(٤) انظر: الذكر الجماعي بين الاتباع والابتداع ص٨٣.

٦ ـ أن في الجهر بالذكر تشويشاً على المصلين، والتالين للقرآن الكريم، والذاكرين الله تعالى، فيؤدي الجهر إلى التباس القراءة على القارئ، والذكر على الذاكر، لحديث: «**ألا إن كلكم مناجي ربه فلا يؤذين بعضكم بعضاً، ولا يرفع بعضكم على بعض في القراءة** ـ أو قال: **في الصلاة** ـ»(١).

٧ ـ أن في فعلهم هذا مخالفة ما أمر الله به من خفض الصوت بالذكر والدعاء، وارتكاب ما نهى الله عنه ورسوله كما في قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ [الأعراف: ٢٠٥]، وقوله تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأعراف: ٥٥].

وإذا كان رفع الصوت بالدعاء من الاعتداء، فالتطريب به وتشبيهه بالغناء أولى بأن يكون من الاعتداء الذي لا يحب الله فاعله(٢).

٨ ـ وقالوا: وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه أنكر رفع الصوت بالذكر ونهى عن ذلك، كما في الصحيحين وغيرهما عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في غزاة فجعلنا لا نصعد شرفاً ولا نعلو شرفاً ولا نهبط في واد إلا رفعنا أصواتنا بالتكبير، قال: فدنا منا رسول الله ﷺ فقال: «**أيها الناس أربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائباً، إنما تدعون سميعاً بصيراً**»(٣).

هذه أهم الأدلة التي استدل بها أصحاب القول الأول وإليك مناقشتها:

---

(١) أخرجه أبو داود أبواب قيام الليل باب في رفع الصوت بالقراءة في صلاة الليل (٣٨/٢) رقم ١٣٣٢، وأحمد في المسند (٩٤/٣).

(٢) انظر: الذكر الجماعي بين الاتباع والابتداع ص٨٣.

(٣) أخرجه البخاري كتاب الجهاد والسير بَاب ما يُكْرَهُ من رَفْعِ الصَّوْتِ في التَّكْبِيرِ (١٠٩١/٣) رقم ٢٨٣٠، ومسلم كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار بَاب اسْتِحْبَابِ خَفْضِ الصَّوْتِ بِالذِّكْرِ (٢٠٧٦/٤) رقم ٢٧٠٤.

مناقشة الدليل الأول:

﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٢٠٥﴾ [الأعراف: ٢٠٥]

وكما تقدم اختلاف المفسرين في تفسير الآية وبيان معناها والمراد بها، فمنهم من خصصها بالذكر في الصلاة الجهرية والسرية كابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، ومنهم من فسرها بالدعاء، وعلى كل فالإجابة على هذا الدليل من وجوه:

١ ـ أن الآية مكية نزلت حين كان النبي ﷺ يجهر بالقرآن، فإن المشركين كانوا إذا سمعوا القرآن سبوه، وسبوا من أنزله ومن جاء به، فأمر الله تعالى أن لا يجهر به لئلا ينال منه المشركون، ولا يخافت بهم عن أصحابه فلا يسمعهم وليتخذ سبيلاً بين الجهر والإسرار، وكذا قال في هذه الآية الكريمة ﴿وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ﴾ ذكر ذلك ابن كثير في تفسيره[(١)].

٢ ـ وآخرون حملوا الآية على الذكر حال قراءة القرآن الكريم، وأنه إنما أمر بالذكر على هذه الصفة تعظيماً للقرآن أن ترفع عنده الأصوات، ويقوي هذا القول الآية التي قبلها: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ٢٠٤﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

٣ ـ أن النهي عن الجهر بالذكر رفع الصوت بالذكر المبالغ فيه، فيكون المعنى أن المراد «دون الجهر» البالغ أو الزائد على قدر الحاجة، فيكون الجهر المعتدل بقدر الحاجة داخلاً في المأمور به، فقد صح ما يزيد على عشرين حديثاً في أنه ﷺ كثيراً ما كان يجهر بالذكر، وصح عن كثير

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٣/٥٤٤).

من الصحابة ﷺ كانوا يجهرون بالذكر في المجالس والطرقات كما سيأتي بيان ذلك في ثنايا هذا البحث.

٤ ـ أما الآيات الثلاث وهي قوله تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأعراف: ٥٥]، ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾ [الإسراء: ١١٠]، ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾﴾ [طه: ٧]، فإن الآيات المقصود بها الدعاء كما أشار إلى ذلك بعض المفسرين كما تقدم.

وكما هو معلوم، فإن الدعاء الأصل فيه الإسرار حتى يكون أبعد عن الرياء ويكون فيه الإخلاص.

واختلف العلماء في الذكر والدعاء بعد الصلاة، فقد روى البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «إن رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس في المكتوبة كان على عهد رسول الله ﷺ وفي رواية لهما: كنت أعرف انقضاء صلاة رسول الله بالتكبير عقب الصلاة المفروضة»(١).

وحكي عن أكثر العلماء خلاف ذلك وأن الفضل الإسرار بذلك.

وحمل الشافعي حديث ابن عباس هذا على أنه جهر به وقتاً يسيراً حتى يعلمهم صفة الذكر لا أنهم جهروا دائماً.

قال: «فاختار الإمام والمأموم أن يذكروا الله بعد الفراغ من الصلاة ويخفيان ذلك، إلا أن يكون إماماً يريد أن يتعلم منه فيجهر حتى يعلم أنه قد تعلم منه ثم يسر»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الصلاة بَاب الذِّكْرِ بَعْدَ الصَّلَاةِ (١/٢٨٨) رقم ٨٠٦، ومسلم كتاب الصلاة بَاب الذكر بعد الصلاة (١/٤١٠) رقم ٢٧٠٤.

(٢) انظر: كتاب الأم للإمام الشافعي (١/١١).

أما الحنابلة، فيقولون: يستحب الجهر بذلك، وظاهر كلام أحمد أنه يسن الجهر بالذكر والدعاء عقب الصلوات بحيث يسمع المأموم ولا يزيد على ذلك.

وكلام أصحابنا مختلف قاله في الفروع، قالوا: «ويتوجه يجهر بقصد التعليم فقط ثم يتركه»(١).

٥ ـ أما مناقشة التشويش على المصلين... وأن في فعلهم هذا مخالفة ما أمر الله به من خفض الصوت بالذكر والدعاء... وحديث: «**يا أيها الناس أربعوا على أنفسكم، إنكم ليس تدعون أصم ولا غائباً، إنكم تدعون سميعاً بصيراً**»(٢).

وإذا كان الجهر بالذكر فيه تشويش على المصلين، والتالين للقرآن الكريم، وكذلك ارتكاب ما نهى الله عنه ورسوله ﷺ من رفع الصوت، ففي هذه الحالة يكون الإسرار أفضل.

أما الحديث، فقد بيَّن الإمام النووي معناه فقال: «معناه أرفقوا بأنفسكم واخفضوا أصواتكم، فإن رفع الصوت إنما يفعله الإنسان لبعد من يخاطبه ليسمعه، وأنتم تدعون الله تعالى وليس هو بأصم ولا غائب بل هو سميع قريب، وهو معكم بالعلم والإحاطة، ففيه الندب إلى خفض الصوت بالذكر إذا لم تدع الحاجة إلى رفعه، فإنه إذا خفضه كان أبلغ في توقيره وتعظيمه، فإذا دعت الحاجة إلى رفعه رفع»(٣).

---

(١) انظر: كشاف القناع عن الإقناع (٢/٣٨٨، ٣٩٤)، والكافي (١/٣٢٢ ـ ٣٢٣).
(٢) سبق تخريجه.
(٣) شرح صحيح مسلم (النووي) (١٧/٢٥ ـ ٢٦).

المطلب الثاني:
أدلة القائلين بجواز الجهر بالذكر ومناقشتها

ذهب طائفة من العلماء إلى القول بجواز الجهر بالذكر منفرداً وجماعة، بل قالوا: بمشروعية الاجتماع للذكر في المجالس والمساجد، وممن قال بالجواز: الإمام اللكنوي فقد ألف كتاباً خاصاً سماه «سباحة الفكر في الجهر بالذكر»، أورد فيه أدلة المانعين والرد عليها، ثم أورد أدلة المجيزين فبلغت ثمانية وأربعين دليلاً.

والإمام السيوطي ألف رسالة سماها «نتيجة الفكر في الجهر بالذكر» وقد ذهب إلى جواز الجهر بالذكر.

وقد تنوعت الأدلة على جواز الجهر بالذكر، فمن تلك ما هو صريح الدلالة على الجهر بذكر الله تعالى فمنها:

- ما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وما تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً...»**[1] كما في الحديث.
- وعن ابن عباس مرفوعاً: **«قال الله تعالى: يا ابن آدم إذا ذكرتني خالياً ذكرتك خالياً، وإذا ذكرتني في ملأ ذكرتك في ملأ خير من الذي تذكرني فيهم أو أكثر»**[2].
- وروى أحمد والحاكم عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«أكثروا ذكر الله حتى يقولوا: إنه مجنون»**[3].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) مجمع الزوائد (١٠/٧٨). وقال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح غير بشر بن معاذ العقدي وهو ثقة.

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٣/٧١)، والحاكم في المستدرك (١/٦٧٧).

- وروى البخاري ومسلم عن ابن عباس قال: «إن رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس في المكتوبة كان على عهد رسول الله ﷺ، وفي رواية لهما: **«كيف أعرف انقضاء صلاة رسول الله بالتكبير»**[1].

- وثبت عن عُمَرُ رضي الله عنه أنه كان يُكَبِّرُ في قُبَّتِهِ بِمِنًى فَيَسْمَعُهُ أَهْلُ الْمَسْجِدِ فَيُكَبِّرُونَ وَيُكَبِّرُ أَهْلُ الأَسْوَاقِ حتى تَرْتَجَّ مِنًى تَكْبِيرًا، وكان ابن عُمَرَ يُكَبِّرُ بِمِنًى تِلْكَ الأَيَّامَ وَخَلْفَ الصَّلَوَاتِ وَعَلَى فِرَاشِهِ وفي فُسْطَاطِهِ وَمَجْلِسِهِ وَمَمْشَاهُ تِلْكَ الأَيَّامَ جميعاً، وَكَانَتْ مَيْمُونَةُ تُكَبِّرُ يوم النَّحْرِ، وكان النِّسَاءُ يُكَبِّرْنَ خَلْفَ أَبَانَ بن عُثْمَانَ وَعُمَرَ بن عبدالْعَزِيزِ رحمه الله لَيَالِيَ التَّشْرِيقِ مع الرِّجَالِ في الْمَسْجِدِ[2].

- وعن زيد بن أسلم قال: قال ابن الأدرع: «انطلقت مع النبي ﷺ ليلة، فمر برجل في المسجد يرفع صوته فقلت: يا رسول الله عسى أن يكون هذا مرائياً قال: **لا، ولكنه أواه**»[3].

- وروى الحاكم عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما: أن رجلاً كان يرفع صوته بالذكر، فقال رجل: لو أن هذا خفض من صوته، فقال رسول الله ﷺ: **«دعه فإنه أواه»**[4].

- وفي مصنف ابن أبي شيبة عن زيد بن خالد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: جاءني جبريل فقال: **«مر أصحابك يرفعوا أصواتهم بالتلبية فإنها شعار الحج»**[5].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري معلقاً كتاب العيدين باب التكبير أيام منى (١/٣٣٠).

(٣) فيض القدير (١/٤٥٧).

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/٥٢٢).

(٥) مصنف ابن أبي شيبة (٣/٣٧٣) رقم ١٥٠٥٥.

- وروي أن عبدالله بن عمر وأبا هريرة كانا يأتيان السوق أيام العشر فيكبران ولا يأتيان السوق إلا لذلك[1].
- وما رواه مسلم عن ابن الزبير أنه كان يقول في دبر كل صلاة حين يسلم: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، ولا حول ولا قوة إلا بالله، لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه، له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون، وقال: كان رسول الله ﷺ يهل بهن في دبر كل صلاة. ومعنى يهل: يرفع الصوت، ومنه الإهلال في الحج هو رفع الصوت بالتلبية، واستهلال الصبي إذا ولد، وكان أصحاب رسول الله ﷺ يجهرون بالذكر عقب الصلوات حتى يسمع من يليهم[2].
- ومنها الأحاديث المتقدمة في فضل حلق الذكر كحديث: **«إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون حلق الذكر»**[3]، وحديث: **«ما جلس قوم مسلمون مجلساً يذكرون الله فيه إلا حفتهم الملائكة، ونزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة...»**[4].

وكان الصحابة ﷺ يحصون ذكر رسول الله ﷺ واستغفاره في المجالس فقد ثبت في سنن أبي داود ومسند الإمام أحمد وغيرهم من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «كنا لنعد رب اغفر لي، وتب عليّ، إنك أنت التواب الرحيم»[5]. ويفهم من ذلك أن الرسول ﷺ كان يجهر بذلك وإلا ما حصل العد من الحاضرين.

---

(١) أخبار مكة (٣/٩ ـ ١٠)، وإسناده حسن.
(٢) أخرجه مسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته (٤١٥/١) رقم ٥٩٤.
(٣) سبق تخريجه.
(٤) سبق تخريجه.
(٥) أخرجه أبو داود أبواب قيام الليل باب الاستغفار (٨٥/٢) رقم ١٥١٦، وأحمد في المسند (٢١/٢).

والأحاديث في فضل حلق الذكر كثيرة وقد أخذ منها العلماء مشروعية الجهر بالذكر وإلا لما كان للاجتماع فائدة، قال الشيخ أبو غدة: «وقد ذهب العلماء إلى منع الجهر بالذكر منفرداً أو جماعة، ولكن الحق جوازه ومشروعيته لشروطه كما حققه الإمام اللكنوي في هذه الرسالة، والإمام السيوطي قبله».

وقال أيضاً: «ولا يقال: لا يلزم من اجتماع قوم للذكر جهرهم بالذكر لجواز أن يكون ذكر كل منهم سراً على حدة، لأنا نقول: إذا كان الذكر سراً فلا يظهر للاجتماع فائدة معتد بها»[(١)].

ومن العلماء من جمع بين الأدلة الدالة على الإسرار بالذكر، وبين الأدلة التي جاء فيها الجهر بالذكر فقال: «بأن الإخفاء أفضل حيث خاف الرياء أو تأذى به مصلون أو نيام، والجهر أفضل في غير ذلك؛ لأن العمل فيه أكثر، ولأن فائدته تتعدى للسامعين، ولأنه يوقظ قلب القارئ، ويجمع همه إلى الفكر ويصرف سمعه إليه، ويطرد النوم، ويزيد النشاط فكذلك الذكر على هذا التفصيل»[(٢)].

ونقل كثير من العلماء أن الصحابة ﷺ كانوا يجتمعون لتلاوة القرآن وذكر الله تعالى، فيسمعون قراءة القارئ جهراً، قال الإمام ابن تيمية: «كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا اجتمعوا أمروا واحداً منهم يقرأ والناس يستمعون، وكان عمر يقول لأبي موسى: ذكرنا ربنا فيقرأ وهم يستمعون لقراءته»[(٣)].

ومن فتاوى الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله تعالى عندما سئل عن الذكر بعد الصلاة صرح بأن الذكر بعد الصلاة السُّنة أن يكون جهراً، فقال: «لكن السُّنة الجهر بالذكر بعد السلام من الصلاة، فقد ثبت عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال: كان رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس من

(١) رسالة المسترشدين ص٢٥٤.

(٢) انظر: الإتقان للسيوطي (٢٨٧/١)، وفيض القدير للمناوي (٤٥٧/١)، التيسير بشرح الجامع الصغير للمناوي (٥٢٦/١)، والفتاوى الفقهية الكبرى لابن حجر الهيتمي (١٧٦/١).

(٣) مجموع الفتاوى (٥٢٣/١١).

المكتوبة على عهد النبي ﷺ، وأنه كان يعلم إذا انصرفوا بذلك إذا سمعهم، وهذا دليل على أن السُّنة الجهر بالذكر بعد الصلاة خلافاً لما كان عليه أكثر الناس اليوم من الإسرار به، وبعضهم يجهر بالتهليلات دون التسبيح والتحميد والتكبير ولا أعلم لهذا أصلاً من السُّنة في التفريق بين هذا وهذا، وإنما السُّنة الجهر، وقول بعض الناس: إن الرسول ﷺ جهر بالذكر بعد الصلاة من أجل أن يعلمه الناس هذا قول فيه نظر، وذلك لأن التعليم من النبي ﷺ قد حصل بالقول كما قال للفقراء من المهاجرين: **تسبحون وتحمدون وتكبرون دبر كل صلاة ثلاثاً ثلاثين».**

ثم إننا نقول: هب أن المقصود بذلك التعليم، فالتعليم كما يكون في أصل الدعاء أو في أصل الذكر يكون أيضاً بصفته، فالرسول ﷺ علم هذا الذكر أصله وصفته وهو الجهر، كون الرسول ﷺ يداوم على ذلك يدل على أنه سنَّة، ولو كان من أجل التعليم فقط لكان النبي ﷺ يقتصر على أن يعلم الناس ثم يقول للناس هذا الذكر سراً، فالمهم أن القول الراجح في هذه المسألة أنه يسن الذكر ورفع الصوت(١).

ويتبين من خلال هذه الأدلة وتنوع دلالتها على فضل الذكر واستحباب مشروعيته والتحلق له وجواز الجهر به، لأنه لا فائدة من الاجتماع إذا لم يكن الحاضرون يسمعون ذلك، كما نصت على ذلك بعض الأحاديث.

قال الشيخ أبو غدة: «وبالجملة لا كلام في وقوع الجهر في المحال المخصوصة والمواضع المعينة، إنما الكلام في ثبوت حكم في قضية هل يمكن دليلاً على ثبوته عموماً أو لا؟ فيجوز للمخالف أن يقول: لعل في تلك المواضع تكون فائدة مخصوصة لا توجد في غيرها»(٢)، ويمنع رفع الصوت المبالغ فيه والمنافي للخشوع والتذلل.

---

(١) انظر: الذكر الجماعي بين الاتباع والابتداع (د.الخميس) ص٧٠ ـ ٧١.

(٢) رسالة المسترشدين ص٢٥٤.

المبحث الرابع:

أثر حلق الذكر على العقيدة الإسلامية

المطلب الأول:

حكم الاجتماع لذكر الله تعالى

إن ذكر الله تعالى له منزلة رفيعة، وأهمية عظيمة في الشريعة الإسلامية، فهو من أفضل العبادات، وأزكى الطاعات، وأهم ما يتقرب به العبد لنيل رضا ربه تعالى، وجاءت الأخبار الصحيحة التصريح فيها بالأجر العظيم والثواب الجزيل لمن يحضر مجالس الذكر وحلقه، وإذا ثبت كل ذلك بالأدلة الصحيحة فما حكم الاجتماع لذكر الله تعالى؟

وقبل بيان الحكم أوضح الآتي:

أولاً: الاجتماع للذكر وسيلة من الوسائل المعينة على هذه العبادة العظيمة ـ أعني: ذكر الله تعالى ـ وكما هو معلوم فإن الوسائل لها حكم الغايات، فإذا كانت الغاية شرعية فيجب أن تكون الوسيلة شرعية.

ثانياً: أن ذكر الله تعالى عبادة شرعية توقيفية في ألفاظها، وفيما ورد في أعدادها، وفي الأجر والثواب المترتب عليها.

فلا يجوز لأحد أن يتخذ ذكراً غير مأثور ويجعله عبادة راتبة يواظب عليه كمواظبته على السنن والرواتب، قال الإمام ابن تيمية: «وليس لأحد أن يسن نوعاً من الأذكار والأدعية غير المسنونة ويجعلها عبادة راتبة يواظب

عليها كما يواظبون على الصلوات الخمس، بل هذا ابتداع دين لم يأذن الله به، بخلاف ما يدعو به المرء أحياناً من غير أن يجعله للناس سنَّة، فهذا إذا لم يعلم أنه يتضمن معنى محرماً لم يجزم بتحريمه لكن قد يكون فيه ذلك والإنسان لا يشعر به»[1].

وبناءً على هاتين المقدمتين، فإن حكم الاجتماع لذكر الله تعالى والتحلق له لا يخلو من حالين.

❏ الحالة الأولى:

أن الاجتماع على الذكر والتحلق له عند أغلب الطرق الصوفية محرم وبدعة وذلك للأمور الآتية:

أولاً: أن الأذكار والأوراد والأحزاب التي تجتمع عليها تلك الطرق الصوفية لم تكن مأثورة عن المصطفى ﷺ، ولم تأت من طرق صحيحة وليست منضبطة بالضوابط الشرعية، بل هي أوراد وأحزاب بدعية زعم أصحابها أن لها فضائل ومناقب، وفضلوها على قراءة القرآن الكريم وعلى التسبيح والتحميد والتهليل، فالصوفية «قد أوجدوا صيغاً وألفاظاً في أورادهم ووظائفهم لم يعلِّمها رسول الله ﷺ وأصحابه، ولم يدع واحداً من السلف الصالح بتلك الكلمات والألفاظ، وزعموا لها فضائل ومناقب وفضلوها على تلاوة القرآن الكريم وعلى التسبيح والتهليل والتحميد، وحملوا الناس على الاشتغال بترديد كلمات السحر والكهانة والتنجيم على ألسنتهم، ثم اختلقوا لها آداباً وتجليات وأحوالاً ودرجات لم يأت بها كتاب الله ولا سنة رسول الله ﷺ»[2].

ويعيب الإمام ابن تيمية على من يتخذ حزباً ليس بمأثور عن النبي ﷺ

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٢/٥١٠ ـ ٥١١).

(٢) دارسات في التصوف (إحسان إلهي ظهير) ص٢٠٨.

قال: «ومن أشد الناس عيباً من يتخذ حزباً ليس بمأثور عن النبي ﷺ وإن كان حزباً لبعض المشايخ ويدع الأحزاب النبوية التي كان يقولها سيد بني آدم وإمام الخلق وحجة الله على عباده»(١).

وإليك طرفاً من تلك الأوراد والأحزاب التي أنشأتها بعض الطرق الصوفية فمن ذلك:

- صلاة الفاتح ونصها: «اللّهم صلي على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، والهادي إلى صراطك المستقيم، وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم»(٢).

وهذه الصلاة يقال بأن مصدرها من الله تعالى مباشرة كما نقل ذلك صاحب جواهر المعاني بقوله: «صلاة الفاتح لما أغلق، لم تكن من تأليف البكري، ولكنه توجه إلى الله مدة طويلة أن يمنحه صلاة على النبي ﷺ فيها ثواب وسر جميع الصلوات فآتاه الملك بهذه الصلاة مكتوبة في صحيفة من النور»(٣).

وهذا الدعاء باطل لأن الوحي لا ينزل بعد خاتم الأنبياء، ثم أن لفظ الصلاة يدل على بطلانها، فكيف يقول الله تعالى: اللّهم صلي على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، ثم إن هؤلاء رتبوا على هذه الصلاة من الأجر العظيم والثواب الجزيل الذي يفوق قراءة القرآن الكريم، فقد جاء في جواهر المعاني ما نصه: «ثم أمرني بالرجوع إلى صلاة الفاتح لما أغلق، فلما أمرني بالرجوع إليها سألته ﷺ عن فضلها فأخبرني أولاً: بأن المرة الواحدة منها تعدل من القرآن ست مرات، ثم أخبرني ثانياً: أن المرة الواحدة تعدل من كل تسبيحة وقعت في الكون، ومن كل ذكر، ومن كل دعاء كبير أو صغير،

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٢/٥٢٥).

(٢) جواهر المعاني (علي حرازم) ص٥٢.

(٣) المصدر السابق ص٥٨.

ومن القرآن ستة آلاف مرة لأنه من الأذكار»[1].

- ومن ذلك أيضاً الحزب السيفي والذي يقول عنه التيجاني: «الحرز اليماني وهو دعاء السيفي.... ومن فضله أن من ذكره مرة كتبت له عبادة سنة، ومرتين بسنتين، وهكذا ومن حمله معه كتب من الذاكرين كثيراً ولو لم يذكر»[2].

ويقول أيضاً عن الحزب السيفي وصلاة الفاتح: «ولكن من جملة أورادكم التي تحافظون عليها بعد الورد الذي هو لازم الطريقة: الحزب السيفي وصلاة الفاتح لما أغلق، فإنهما يغنيان عن جميع الأوراد»[3].

وهذه دعوة للالتزام بهذين الوردين وترك ما سواهما، ويدخل في ذلك الأذكار النبوية الصحيحة، فهل بعد هذا من بدعة وضلال، اللّهم ثبتنا على الحق يا أرحم الراحمين.

ثانياً: أن من الأذكار والأوراد التي تحافظ عليها تلك الطرق الصوفية ذكر الله تعالى بالاسم المفرد: «الله، الله، هو هو»، وهذا الذكر لم يؤثر عن الرسول ﷺ ولا عن أحد من سلف الأمة المعتبرين، والذكر بالاسم المفرد بدعة؛ لأنه ليس بكلام مفيد تام يعقل كما نص على ذلك كثير من علماء المسلمين.

قال الإمام ابن تيمية: «أما ذكر الله تعالى بالاسم المفرد فبدعة لم يشرع وليس هو بكلام يعقل ولا فيه إيمان»[4].

وقال أيضاً: «إن الشرع لم يستحب من الذكر إلا ما كان تاماً مفيداً مثل: «لا إله إلا الله»، ومثل: «الله أكبر»، ومثل: «سبحان الله والحمد لله»،

---

(١) المصدر السابق ص٥٣

(٢) المصدر السابق ص٥٣

(٣) المصدر السابق ص٥٣

(٤) مجموع الفتاوى (٣٩٦/١٠)

ومثل: «لا حول ولا قوة إلا بالله». فأما الاسم المفرد مظهراً مثل: «الله الله» أو مضمراً مثل: «هو هو»، فهذا ليس بمشروع في كتاب ولا سنَّة، ولا هو بمأثور أيضاً عن أحد من سلف الأمة، ولا عن أعيان الأمة المقتدى بهم، وإنما نهج به قوم من ضلال المتأخرين»[1].

ثالثاً: ما صاحب تلك المجالس من المنكرات كالرقص والغناء والدوران والضرب على الصدور، وربما صاحب ذلك الاختلاط المحرم، فهؤلاء قد زادوا على الأذكار الغير مأثورة زيادات منكرة وأفعال شنيعة، وممارسات غير مشروعة أقرب إلى اللعب واللهو من كونها عبادة الصالحين والزهاد، ثم نسبوا ذلك كله للدين، قال الإمام الشاطبي منكراً على هؤلاء: «يا ليتهم وقفوا عند هذا الحد المذموم، ولكنهم زادوا على ذلك الرقص والزمر والدوران والضرب على الصدور، وبعضهم يضرب على رأسه وما أشبه ذلك من العمل المضحك للحمقى؛ لكونه من أعمال الصبيان والمجانين، والمبكي للعقلاء رحمة لهم إذ لم يتخذ هذا طريقاً إلى الله وتشبيهاً بالصالحين»[2].

وفي موطن آخر بين الإمام الشاطبي أن هذه الممارسات الخاطئة لم يفعلها السلف الصالح، ولو كان ما يقوموا به هؤلاء الصوفية حقاً صحيحاً لفعله خير القرون فقال: «يقال لمن فعل هذا: اعلم أن أصدق الناس موعظة، وأنصح الناس لأمته، وأرق الناس قلباً، وخير الناس من جاء بعده ـ أي: بعد النبي ﷺ ـ لا يشك في ذلك عاقل، ما صرخوا عند موعظة ولا زعقوا ولا رقصوا ولا زفنوا، ولو كان هذا صحيحاً لكانوا أحق به أن يفعلوه بين يدي النبي ﷺ، ولكنه بدعة بل وباطل ومنكر»[3].

---

(١) المصدر السابق (١٠/٥٥٦).

(٢) الاعتصام (١/٢٢٣ ـ ٢٢٥).

(٣) المصدر السابق (١/٢٢٦).

رابعاً: ما يقع في مجالس أغلب الطرق الصوفية واجتماعاتهم من الغلو في الأشخاص، وفي بعض الأحيان يصاحب تلك الأفعال والأوراد بعض الشركيات كالاستغاثة بغير الله ﷻ ودعاء الأشخاص من دون الله تعالى، ومن ذلك ما تقوله القادرية عن عبدالقادر الجيلاني: «يا سلطان العارفين، ويا فارج الكرب، يا غوث الأعظم، يا صاحب الملك والملوك، يا محيي الرميم، يا غافر الأوزار، يا قاضي حاجتي، يا مالك الزمان، يا أمان المكان، يا حضرة الشيخ عبدالقادر: أغثني في كل أحوالي وانصرني في كل آمالي»(١).

وهذه الألفاظ لا يجوز التكلم بها، فكيف بمن يجعلها عبادة وأذكاراً يؤجر عليها، وهذا هو مذهب أهل السّنة في مثل هذه الألفاظ الموهمة منعها وعدم التكلم بها، قال ابن أبي العز عن مذهب أهل السّنة في الرقية وغيرها: «واتفقوا كلهم على أن كل رقية وتعزيم أو قسم فيه شرك بالله تعالى، فإنه لا يجوز التكلم به، وإن أطاعته به الجن أو غيرهم، وكذلك كل كلام فيه كفر لا يجوز التكلم به، وكذلك الكلام الذي لا يعرف معناه لا يتكلم به؛ لإمكان أن يكون فيه شرك لا يعرف»(٢).

وما أكثر الألفاظ الشركية والعبارات الموهمة في أوراد وأحزاب الطرق الصوفية، وهذا كاف في تحريم وتبديع تلك الاجتماعات والمجالس، فكيف إذا صاحب ذلك ما سبقت الإشارة إليه من منكرات وأباطيل، وتفضيل لتلك الأوراد على قراءة القرآن الكريم، وعلى التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير.

خامساً: أن هذه الطرق الصوفية جعلت الاجتماع لذكر الله تعالى والصلاة على النبي ﷺ وما أنشؤوه من أوراد وأحزاب شرطاً لازماً لذلك، ومن ترك الاجتماع من غير عذر شرعي فيعد متهاوناً ومرتع التهاون وخيم.

---

(١) عقيدة الصوفية ووحدة الوجود الخفية (د. أحمد القصير) ص٣٦٤.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص٥٦٧.

قال التيجاني: «من الأوراد اللازمة للطريقة ذكر الهللة بعد صلاة العصر يوم الجمعة مع الجماعة، وإن كان له إخوان في البلد فلا بد من جمعهم وذكر جماعة وهذا شرط في الطريقة»(١).

وقال الرباطي: «وترك الاجتماع من غير عذر شرعي يعرض في الوقت ممنوع عندنا في الطريق، ويعد تهاوناً ولا يخفى وخامة مرتع التهاون»(٢).

❑ الحالة الثانية:

أن الاجتماع على ذكر الله تعالى مستحب ومندوب إليه بمقتضى الأدلة الواردة في بيان فضله وفضل مجالسه وحلقه، وما يحصل عليه الحاضرون من الأجر العظيم والثواب الجزيل وذلك للأمور الآتية:

أولاً: ما ورد من الأحاديث في بيان فضل الاجتماع للذكر وبيان فضل حلقه والأجر العظيم الذي بشر به من حضر تلك المجالس ومن ذلك:

- في صحيح مسلم عن أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ قال: «**إن لله ملائكة سيارة فضلاً، يتبعون مجالس الذكر، فإذا وجدوا مجلساً فيه ذكر قعدوا معهم .... فيسألهم الله وهو أعلم من أين جئتم؟ فيقولون: جئنا من عند عبادك في الأرض يسبحونك ويكبرونك ويهللونك ويحمدونك ويسألونك، قالوا: ويستغفرونك، فيقول: قد غفرت لهم وأعطيتهم ما سألوا وأجرتهم مما استجاروا، قال: فيقولون: رب فيهم فلان عبدك خطاء إنما مر فجلس معهم، فيقول: وله غفرت هم القوم لا يشقى بهم جليسهم**»(٣).

وما رواه الإمام مسلم عن أبي سعيد الخدري ﵁ قال: خرج معاوية ﵁ على حلقة في المسجد فقال: ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله.... قال: أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم وما كان أحد بمنزلتي

(١) جواهر المعاني ص٥٣.
(٢) الدرر السنية ص١٨.
(٣) سبق تخريجه.

من رسول الله ﷺ أقل عنه حديثاً مني: إن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه فقال: «**ما أجلسكم؟**» قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ومنَّ به علينا.... قال: «**أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم، ولكنه أتاني جبريل فأخبرني أن الله يباهي بكم الملائكة**». وأيضاً ما رواه الإمام مسلم عن أبي سعيد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده**»(١).

وما رواه أبو داود في سننه أن النبي ﷺ قال: «**لأن أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من صلاة الغداة حتى تطلع الشمس، أحب إلي من أن أعتق أربعة من ولد إسماعيل، ولأن أقعد مع قوم يذكرون الله من صلاة العصر إلى أن تغرب الشمس أحب إلي من أن أعتق أربعة**»(٢).

فقد جاء في هذه النصوص أن الاجتماع للذكر من أفضل الأعمال، وأكثرها أجراً وثواباً ومغفرة للذنوب، وأن الملائكة تحفهم، والسكينة تغشاهم، والرحمة تنزل عليهم، ويباهي بهم الملائكة، ويذكرهم الله تعالى في الملأ الأعلى، وأن الملائكة تحضر تلك المجالس.

ثانياً: أن الاجتماع للذكر وقراءة القرآن والدعاء ونحو ذلك من الأمور المستحبة، وذلك بشرط أن لا يصاحبها منكرات ولا بدع أو يجعلها كالرواتب والصلوات المفروضة، قال الإمام ابن تيمية: «الاجتماع على القراءة والذكر والدعاء حسن مستحب إذا لم يتخذ ذلك عادة راتبة كالاجتماعات المشروعة، ولا اقترن ببدعة منكرة، وأما كشف الرأس مع ذلك فمكروه ولا سيما إذا اتخذ على أنه عبادة، فإنه حينئذ يكون منكراً، ولا يجوز التعبد بذلك»(٣).

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) مجموع الفتاوى (٢٢/٥٢١).

وعلى هذا فالاجتماع للذكر وقراءة القرآن والدعاء حسن مستحب، ومن أعظم القربات وأفضل الأعمال والعبادات، ولكن يمنع المداومة عليها سداً للذريعة، وحتى لا يفهم بأنها سنَّة راتبة مثل السنن المشروعة والصلوات المفروضة والأعياد ونحو ذلك، فيلزمون المداومة عليها، قال الإمام ابن تيمية: «ينبغي أن يكون هذا أحياناً في بعض الأوقات والأمكنة فلا يجعل سنَّة راتبة ويحافظ عليها إلا ما سنَّ رسول الله ﷺ المداومة عليه في الجماعات من الصلوات الخمس والجمعات والأعياد ونحو ذلك، وأما محافظة الإنسان على أوراد له من الصلاة أو القراءة أو الذكر أو الدعاء طرفي النهار وزلفاً من الليل وغير ذلك، فهذا سنَّة رسول الله ﷺ والصالحين من عباد الله قديماً وحديثاً»(١).

ثالثاً: ومن الأدلة الواردة في مشروعية واستحباب الاجتماع للذكر ما ورد من الأخبار في فضل الاجتماع للدعاء وأن ذلك سبب من أسباب الاستجابة، كما ورد في الحديث الذي رواه الإمام الحاكم بسنده قال ﷺ: «**لا يجتمع ملأ فيدعو بعضهم ويؤمن بعضهم إلا استجاب الله دعائهم**»، وقال: على شرط مسلم وسنده حسن(٢).

وكذلك ما ورد في الدعاء بعد الصلاة فقد وضع الإمام البخاري رحمه الله باباً فقال: «باب الدعاء بعد الصلاة»(٣) قال ابن حجر معلقاً على هذا: «وفي هذه الترجمة رد على من زعم أن الدعاء بعد الصلاة لا يشرع متمسكاً بالحديث الذي أخرجه مسلم من رواية عبدالله بن الحارث عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ لا يثبت إلا قدر ما يقول: «**اللَّهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام**»(٤).

---

(١) المصدر السابق (٢٢/٥٢٠).
(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/٣٩٠).
(٣) صحيح البخاري (٥/٢٣٣١).
(٤) أخرجه مسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته (١/٤١٤) رقم ٥٩٢.

ثم أجاب ابن حجر على ذلك فقال: «والجواب: أن المراد بالنفي المذكور نفي استمراره على هيئته قبل السلام إلا بقدر أن يقول ما ذكر، ثم أجاب عن كلام ابن القيم فقال: مراد ابن القيم نفي الدعاء يفيد استمرار استقبال المصلي القبلة وإيراده بعد السلام، وأما إذا انتقل بوجهه أو قدم الأذكار المشروعة، فلا يمتنع عنده الإتيان بالدعاء حينئذ»(١).

وخلاصة القول أن الدعاء بعد الصلاة المفروضة له صورتان:

الصورة الأولى: أن يدعو المصلي إماماً كان أو مأموماً بعد الانتهاء من الصلاة مباشرة وقبل الشروع في الأذكار.

الصورة الثانية: أن يدعو المصلي إماماً كان أو مأموماً بعد الانتهاء من الصلاة وبعد الأذكار المشروعة(٢).

أما الصورة الأولى: فالذي قرره المحققون من العلماء أن الدعاء بعد السلام من الصلاة مباشرة بحيث يرفع الإمام صوته بالدعاء ثم يؤمن المأمومون معه، ويكون ذلك الدعاء راتباً ويستمر بالمداومة عليه، وربما أسقطوا الأذكار المشروعة واكتفوا بذلك.

فإن هذه الصورة وبهذه الهيئة لم ترد عن النبي ﷺ وإنما هي أمر محدث لا دليل عليها.

فقد سئل ابن تيمية عن ذلك فقال: «الذي نقل عن النبي ﷺ بعد الصلاة المكتوبة إنما هو الذكر المعروف كالأذكار التي في الصحاح وكتب السنن والمسانيد وغيرها»

وفي موطن آخر علل كون الأذكار المشروعة أولى من الدعاء فقال: «أما إذا انصرف إلى الناس من مناجاة الله لم يكن موطن مناجاة له ودعاء، وإنما هو موطن ذكر له وثناء عليه، فالمناجاة والدعاء حين الإقبال والتوجه

---

(١) فتح الباري (١١/١٣٣).

(٢) انظر: الدعاء في ضوء الكتاب والسُّنة ومذاهب الناس فيه ص١٧٥ - ١٧٦.

إليه في الصلاة، أما حال الانصراف من ذلك فالثناء والذكر أولى»[١].

وهذا ما أكده الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو أن المصلي إذا فرغ من الأذكار المشروعة فله أن يدعو بما شاء، قال: «إن المصلي إذا فرغ من صلاته وذكر الله وهلله وسبحه وحمده وكبره بالأذكار المشروعة عقيب الصلاة استحب له أن يصلي على النبي ﷺ بعد ذلك ويدعو بما شاء، ويكون دعاءه عقيب هذه العبادة الثانية لا لكونه دبر الصلاة»[٢].

رابعاً: ثم أن هذه المجالس شبهها الرسول ﷺ برياض الجنة فهل بعد هذا من فضل، قال رسول الله ﷺ: «**إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا**»، قالوا: وما رياض الجنة؟ قال: «**حلق الذكر**»[٣].

خامساً: حرص الصحابة ﷺ على هذه المجالس والحلق والمداومة عليها وتسميتها إيماناً، جاء عن معاذ بن جبل ﷺ قال لرجل: «اجلس بنا نؤمن ساعة»[٤]، فهذه المجالس تزيد الإيمان ولهذا حرص الصالحون على ملازمتها.

سادساً: ومما يميز مجالس الذكر عن غيرها من المجالس تحذير المصطفى ﷺ من مجالس أهل الغفلة والسوء وهي التي لا يذكر الله تعالى فيها، جاء عن أبي داود «ما من قوم جلسوا مجلساً وتفرقوا منه إلا كأنما تفرقوا عن جيفة حمار وكان عليهم حسرة يوم القيامة»[٥].

وفي الحديث الآخر: «**ما قعد قوم مقعداً لا يذكرون الله ﷻ ولا يصلون على النبي إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة وإن دخلوا الجنة للثواب**»[٦].

(١) مجموع الفتاوى (٥١٤/٢٢).
(٢) زاد المعاد (٢٥٨/١).
(٣) سبق تخريجه.
(٤) سبق تخريجه.
(٥) سبق تخريجه.
(٦) سبق تخريجه.

المطلب الثاني:

الذكر الجماعي

عرف الذكر الجماعي من الموسوعة الفقهية بأنه: ما ينطق به المجتمعون للذكر بصوت واحد يوافق فيه بعضه بعضاً[(١)].

ومن الذكر الجماعي الدعاء الجماعي في أدبار الصلوات وغيرها بحيث يدعو واحد ويؤمن الباقون.

وبناءً على هذا، فإن الذكر الجماعي: هو ما يفعله المجتمعون في مجالس الذكر وفي حلقه من ترديد أدعية وأذكار مأثورة بصوت واحد أو وراء شخص معين يكون قائداً لهم.

فالذكر الجماعي في الحلق والمجالس له صورتان:

الصورة الأولى: أن يردد الجميع ذكراً بصوت واحد يوافق فيه بعضهم بعضاً.

الصورة الثانية: أن يردد أحدهم ذكراً والآخرون يرددون خلفه بحيث يكون قائداً لهم.

وقبل بيان حكم الذكر الجماعي أوضح الآتي:

أولاً: إن ما تفعله الطرق الصوفية في مجالسهم وحلقهم من ذكر جماعي يصاحبه تمايل شمالاً ويميناً وأحياناً حالة قفز ورقص ودوران مع المبالغة في رفع الأصوات والتواجد ونحو ذلك، إن كل ذلك محدث وبدعة وممارسات خاطئة وبعيدة كل البعد عن كونها عبادة يتقرب بها العبد إلى ربه بل هي أقرب إلى اللعب كما يقول الإمام الشاطبي: «وهذا الاجتماع إلى اللعب أقرب منه إلى الجد»[(٢)].

---

(١) الموسوعة الفقهية (٢١/٢٥٢).

(٢) الاعتصام (١/٣٦٧).

ثانياً: ثبت عن الصحابة ﷺ أنهم كانوا يجتمعون لذكر الله تعالى يأمرون أحدهم يذكر الله تعالى والباقون يستمعون له نقل ذلك الإمام ابن تيمية فقال: «كان الصحابة ﷺ يجتمعون أحياناً يأمرون أحدهم يقرأ والباقون يستمعون وكان عمر بن الخطاب ﷺ يقول: يا أبا موسى ذكرنا ربنا فيقرأ وهم يستمعون، وكان من الصحابة من يقول: اجلسوا بنا نؤمن ساعة وصلى النبي ﷺ بأصحابه التطوع في جماعة مرات وخرج على الصحابة من أهل الصفة وفيهم قارئ يقرأ فجلس معهم يستمع»(١).

ومن خلال هاتين المقدمتين فإن الذكر الجماعي بأن يردد الجميع ذكراً مأثوراً مشروعاً بصوت واحد أو يردد أحدهم والباقون يرددون خلفه أنه مباح وذلك للأدلة الآتية:

أولاً: الأحاديث الواردة في بيان فضل حلق الذكر والاجتماع له فقد جاءت هذه النصوص بصيغة الجمع والتي يفهم منها أن جميع الحاضرين يذكرون الله تعالى ومن ذلك:

ما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**إن لله تعالى ملائكة سيارة فضلاً، يتبعون مجالس الذكر...**»، وجاء في الحديث: «**جئنا من عند عبادك في الأرض يسبحونك ويكبرونك ويهللونك ويحمدونك ويسألونك...**» الحديث(٢).

فهذا الحديث يدل على إباحة الذكر الجماعي لأنه جاء بصيغة الجمع يسبحونك ويكبرونك ويهللونك ويحمدونك ويسألونك، قال ابن حجر عند شرح هذا الحديث: «المراد بمجالس الذكر هي المجالس التي تشتمل على ذكر الله تعالى بأنواع الذكر الواردة من تسبيح وتكبير وغيرها وعلى تلاوة كتاب الله سبحانه وتعالى وعلى الدعاء بخيري الدنيا والآخرة. وفي دخول

(١) مجموع الفتاوى (٢٢/٥٢٠).

(٢) سبق تخريجه.

الحديث النبوي ومدارسة العلم الشرعي ومذاكرته والاجتماع على صلاة النافلة في هذه المجالس نظر.... والأشبه اختصاص ذلك بمجالس التسبيح والتكبير ونحوها والتلاوة فحسب وإن كانت قراءة الحديث ومدارسته والمناظرة فيه من جملة ما يدخل تحت مسمى ذكر الله تعالى»[(١)].

وما رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم...**» الحديث[(٢)].

فقد جاء في الحديث الذكر في الملأ: «**وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم**»، فدل الحديث على مشروعية الاجتماع للذكر والجهر به في جماعة وهذا يكون ذكراً جماعياً لأن هذه صورة من صوره.

وما رواه الإمام مسلم عن معاوية ﷺ أن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه فقال: «**ما أجلسكم**» قالوا: جلسنا نذكر الله تعالى ونحمده على ما هدانا للإسلام ومنَّ به علينا فقال: «**آلله ما أجلسكم إلا هذا...**» الحديث[(٣)].

فقد جاء الحديث بصيغة الجمع: «جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ومنَّ به علينا...»، وهذا يدل على مشروعية الذكر الجماعي.

وفي الحديث فائدة مهمة أن رسول الله ﷺ لم يسألهم عن الهيئة التي كانوا يذكرون الله تعالى عليها وإنما سألهم عن مقصدهم ونيتهم: «**آلله ما أجلسكم إلا هذا....**»، ثم بشرهم بأن الله يباهي بهم الملائكة.

---

(١) فتح الباري (١١/٢١٢).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

وفي بيان فضائل حلق الذكر وما للذاكرين من الأجر العظيم والثواب الجزيل.

وما رواه أبو داود في سننه أن النبي ﷺ قال: «**لأن أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من صلاة الغداة حتى تطلع الشمس أحب إلي من أن أعتق أربعة من ولد إسماعيل، ولأن أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من صلاة العصر إلى أن تغرب الشمس أحب إلي من أعتق أربعة...**» الحديث(١).

وفي الحديث دليل على مشروعية الذكر الجماعي فقد جاء: «**لأن أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى....**» بصيغة الجمع.

وفي الحديث فضل حضور تلك المجالس وتحديد وقتها وهو «من صلاة الغداة حتى تطلع الشمس ومن صلاة العصر إلى أن تغرب الشمس».

ثانياً: الأحاديث والآثار الواردة في الجهر بذكر الله تعالى بعد الصلوات وفي الحج والأعياد ونحو ذلك.

ومن ذلك ما رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «كنا لا نعرف انصراف الناس من الصلاة في عهد رسول الله إلا بالذكر جهراً»(٢).

وما رواه من حديث: «أنهم كانوا يجهرون بلا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير».

وجاء في بعض الروايات تخصيصه بالفجر والمغرب ولفظ مسلم: كتب معاوية إلى المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: اكتب لي بشيء سمعته من رسول الله ﷺ فكتب إليه: «سمعت رسول الله ﷺ يقول إذا قضى الصلاة: **لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له**»(٣).

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه مسلم كتاب المساجد وموضع الصلاة باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته (٤١٥/١) رقم ٥٩٣.

وما ورد عن بعض الصحابة ﷺ أنهم كانوا يذكرون الله تعالى فيردد الناس معهم ذلك الذكر الذي يذكرونه فقد جاء عن عمر ﷺ من أنه كان يكبر في قبته بمنى فيسمعه أهل المساجد فيكبرون ويكبر أهل الأسواق حتى ترتج منى تكبيراً.

وما جاء أن ميمونة بنت الحارث ﵂ زوج النبي ﷺ كانت تكبر يوم النحر وكن النساء يكبرن خلف أبان بن عثمان وعمر بن عبدالعزيز ليالي التشريق مع الرجال في المسجد[(١)].

وما رواه الحاكم بسنده أن الرسول ﷺ قال: «**لا يجتمع ملأ فيدعو بعضهم ويؤمن بعضهم إلا استجاب الله دعاءهم**»[(٢)].

وما ورد من الآثار عن ابن عمر وأبي هريرة وابن عباس ﷺ أنهم كانوا يخرجون إلى الأسواق ويرفعون أصواتهم بالتكبير والتهليل فيذكرون الغافلين[(٣)].

وعلى الذاكرين الله تعالى في الحلق والمجالس ذكراً جماعياً لا بد وأن يلتزموا بالآتي:

١ ـ استحضار النية لله تعالى في جلوسهم وذكرهم لله تعالى.

٢ ـ أن يتحلوا في مجالسهم وحلقهم بالخشوع والتذلل وبالسمت الحسن أثناء ذكرهم لله تعالى.

٣ ـ الابتعاد عن المبالغة في رفع الصوت والابتعاد عن التشويش على المصلين والتالين والمستغفرين الله تعالى ونحو ذلك.

٤ ـ أن يكون الذكر مأثوراً عن المصطفى ﷺ ومنضبطاً بالضوابط الشرعية.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

المطلب الثالث:

إهداء الذكر الجماعي

ومعنى إهداء الذكر الجماعي: أن يجتمع جماعة في مجلس أو حلقة فيذكرون الله تعالى أو يقرؤون القرآن الكريم ثم يهدون ثواب ذلك إلى الميت.

وقبل بيان حكم إهداء الذكر الجماعي أوضح الآتي:

اتفق أهل السّنة والجماعة على أن الأموات ينتفعون من سعي الأحياء في أمرين:

الأول: ما تسبب إليه الميت في حياته(١).

كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ قال: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو ولد صالح يدعو له، أو علم ينتفع به**»(٢).

ثانياً: دعاء المسلمين واستغفارهم له والصدقة والحج(٣).

أما الاستغفار كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر: ١٠].

ودل على انتفاع الميت بالدعاء: إجماع الأمة على الدعاء له في صلاة الجنازة(٤).

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص٦٦٤.

(٢) أخرجه مسلم كتاب الوصية باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته (١٢٥٥/٣) رقم ١٦٣١.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص٦٦٤.

(٤) شرح العقيدة الطحاوية ص٦٦٤.

ووصول ثواب الصدقة عن الميت كما في حديث عائشة رضي الله عنها أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن أمي افتلت نفسها ولم توصي وأظنها لو تكلمت تصدقت أفلها أجر إن تصدقت عنها؟ قال: «**نعم**»(١).

ووصول ثواب الحج عن الميت كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن امرأة من جهينة جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: إن أمي نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتت أفأحج عنها؟ قال: «**نعم حجي عنها، أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيه؟ اقضوا دين الله فالله أحق بالوفاء**»(٢).

واختلفوا في وصول ثواب العبادات البدنية كالصوم والصلاة وذكر الله تعالى وقراءة القرآن الكريم(٣).

أما وصول ثواب الصوم للميت فثبت في حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «**من مات وعليه صوم، صام عنه وليه**»(٤).

أما إهداء ثواب ذكر الله تعالى وقراءة القرآن الكريم للميت، فقد اختلف العلماء في وصول ثوابهما للميت على قولين:

الأول: قول الحنفية والحنابلة وصول ثوابهما للميت.

الثاني: قول الشافعية والمالكية عدم وصول ثوابهما للميت.

والذين قالوا بوصول ثواب الذكر وقراءة القرآن الكريم لم يأتوا بدليل على ما ذهبوا إليه وإنما غاية ما استدلوا به القياس.

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الجنائز باب موت الفجاءة: البغتة (٤٢٧/١) رقم ١٣٨٨، ومسلم كتاب الوصية باب وصول ثواب الصدقات إلى الميت (١٢٥٤/٣) رقم ١٠٠٤.

(٢) أخرجه البخاري كتاب جزاء الصيد باب الحج والنذور عن الميت، والرجل عن المرأة (١٧/٢) رقم ١٨٥٢.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص٦٦٤.

(٤) أخرجه البخاري كتاب الصوم باب من مَاتَ وَعَلَيْهِ صَوْمٌ وقال الْحَسَنُ إن صَامَ عنه ثَلَاثُونَ رَجُلًا يَوْمًا وَاحِدًا جَازَ (٦٩٠/٢) رقم ١٨٥١، ومسلم كتاب الصيام باب قضاء الصيام عن الميت (٨٠٣/٢) رقم ١٨٥١.

فقالوا: لقد ثبت وصول ثواب بعض العبادات البدنية كالحج والصوم ونحو ذلك، فكذلك يصل ثواب الذكر وقراءة القرآن الكريم فهما سواء.

وأما الذين قالوا بعدم وصول ثوابهما فاستدلوا بأنه لم يكن مأثوراً عن السلف، ولم يرد عليه دليل صحيح وكذلك من باب سد الذرائع[1].

وليس المقصود تفصيل أدلة القولين والترجيح، وإنما المقصود أن الخلاف وقع في إهداء ثواب الذكر وقراءة القرآن الكريم، وذلك إذا قصد العبد بهذه العبادة أولاً لنفسه، ثم بعد ذلك أراد أن يهدي ثوابها لغيره من الأموات.

أما إهداء ثواب الذكر أو القراءة إذا فعل من جماعة ثم أهدوه إلى الميت؟

وصورة ذلك: أن يجتمع جماعة في مجلس أو حلقة فيذكرون الله تعالى أو يقرؤون القرآن الكريم، ثم يهدون ثواب ذكرهم أو قراءتهم للميت، فما حكم هذه الصورة وبهذه الطريقة؟

وحكم هذه الصورة وبهذه الطريقة المنع؛ لأنها حادثة وبدعة فهي لم تكن معروفة عند سلف هذه الأمة، ولم يأت عليها دليل صحيح، وقد نقل صاحب كتاب الأحكام الفقهية الخاصة بالقرآن الكريم ما نصه: «وقراءة الختمات التي يعملونها للأموات ويجتمع لها القراء ويفرِّقون على بعضهم أجزاء المصحف، ثم يستفتحون القراءة ويختمونها جميعاً في ساعة، ثم يهدون ثواب ما قرؤوه للمتوفى بدعة ضلالة فاعلها في غاية الجهالة، ولو عاشوا عمر نوح يبحثون في الشريعة الغراء على دليل يدل على ذلك لما وجدوه»[2].

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية ص٦٦٤ وما بعدها، والأحكام الفقهية الخاصة بالقرآن د. الحجيلان ص٩٩٣ وما بعدها.

(٢) انظر: الأحكام الفقهية الخاصة بالقرآن د. الحجيلان ص٩٨٩ ـ ٩٩٠.

ثم إن منع إهداء ثواب الذكر الجماعي والقراءة من باب سد الذرائع؛ لأنها فتحت باباً لأناس يستأجرون أقواماً فيقرؤون القرآن الكريم ثم يهدون ثوابه للميت، فيكون أصل الاجتماع والقراءة ليست خالصة لله تعالى، قال ابن أبي العز: «وأما استئجار قوم يقرؤون القرآن الكريم ويهدونه للميت فهذا لم يفعله أحد من السلف، ولا أمر به أحد من أئمة الدين، ولا رخص فيه، والاستئجار على نفس التلاوة غير جائز بلا خلاف، وإنما اختلفوا في جواز الاستئجار على التعليم ونحوه مما فيه منفعة تصل إلى الغير، والثواب لا يصل إلى الميت إلا إذا كان العمل لله، وهذا لم يقع عبادة خالصة فلا يكون ثوابه مما يهدى إلى الموتى، ولهذا لم يقل أحد: إنه يكتري من يصوم ويصلي ويهدي ثواب ذلك إلى الميت»(١).

المطلب الرابع:

المداومة على حلق الذكر

وحكم المداومة على حلق الذكر أنها مشروعة كحكم الاجتماع لذكر الله تعالى وذلك لما يأتي:

أولاً: تظاهرت الأدلة من السّنة النبوية على مشروعية الاجتماع للذكر وبيان فضل حلقه، وأنها من أعظم المجالس بركة وأجراً، بشهادة الرسول ﷺ، فيتحقق للحاضرين أن الملائكة تحفهم، وأن الله يذكرهم في الملأ الأعلى، ونزول الرحمة، وغفران الذنوب، كما تقدم بيان ذلك في ثنايا هذا البحث.

ثانياً: عموم الأدلة الدالة على مشروعية المداومة على فعل الطاعات والإكثار من القربات، والترغيب في المحافظة على النوافل وأعمال البر ومن ذلك:

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص٦٧٢ ـ ٦٧٣.

ـ أن أحب الأعمال إلى الله تعالى القليل الدائم؛ لأن فيه كثرة الترداد على الطاعات وفعل الخير فقد ثبت من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: سئل النبي ﷺ: «أي الأعمال أحب إلى الله تعالى قال: **أدومها وإن قل**»(١).

وفي صحيح مسلم عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «كان لرسول ﷺ حصير وكان يحجره من الليل فيصلي فيه فجعل الناس يصلون بصلاته ويبسط بالنهار، فثابوا ذات ليلة فقال: **يا أيها الناس، عليكم من الأعمال ما تطيقون، فإن الله لا يمل حتى تملوا، وإن أحب الأعمال إلى الله ما داوم عليه وإن قل**»(٢).

وهذا الحديث ليس خاصاً بالصلاة بل عام لكل أعمال البر والطاعة، قال الإمام النووي: «وليس الحديث مختصاً بالصلاة بل هو عام في جميع أنواع البر»(٣).

وبين الإمام ابن حجر فضل المداومة على العمل حتى ولو كان مفضولاً أحب إلى الله تعالى من عمل يكون أعظم أجراً لكن ليس فيه مداومة(٤).

فالمداومة على الأعمال الصالحة القليلة خير وأحب إلى الله تعالى من الإكثار من الطاعات، ثم الانقطاع لأن في القليل الدائم دوام الطاعة، قال الإمام النووي: «وإنما كان القليل الدائم خير من الكثير المنقطع؛ لأن بدوام القليل تدوم الطاعة والذكر والمراقبة والنية والإخلاص والإقبال على الخالق

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الرقاق باب القصد والمداومة على العمل (٢٣٧٣/٥) رقم ٦١٠٠، ومسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره (٥٤١/١) رقم ٧٨٣.

(٢) مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره (٥٤٠/١) رقم ٧٨٢.

(٣) شرح صحيح مسلم (٧١/٦).

(٤) انظر: فتح الباري (٣٦٠/١١).

سبحانه وتعالى ويثمر القليل الدائم بحيث يزيد على الكثير المنقطع أضعافاً كثيرة»(١).

- الحث على المحافظة على النوافل والترغيب في ذلك كما في حديث أم حبيبة رضي الله عنها قالت: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من صلى ثنتي عشرة ركعة في يوم وليلة بني له بهن بيتاً في الجنة**»، قالت أم حبيبة: فما تركتهن منذ سمعتهن من رسول الله ﷺ»(٢).

- وحث الرسول ﷺ على لزوم الاستغفار والمداومة عليه ففي الحديث الآخر: «**من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً، ومن كل هم فرجاً ورزقه من حيث لا يحتسب**»(٣).

وفي الحديث الآخر: قال رسول الله ﷺ: «**طوبى لمن وجد في صحيفته استغفاراً كثيراً**»(٤).

وما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ لبلال عند صلاة الفجر: «**يا بلال حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام فإني سمعت دف نعليك في الجنة**»، قال: ما عملت عملاً أرجى عندي أني لم أتطهر طهوراً قط في ساعة من ليل أو نهار إلا صليت بذلك الطهور ما كتب لي»(٥).

---

(١) شرح صحيح مسلم (٦/٧١).

(٢) مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب فضل السنن الراتبة قبل الفرائض وبعدهن (١/٥٠٣) رقم ٧٢٨.

(٣) أخرجه أبو داود أبواب قراءة القرآن وتحزيبه وترتيله باب في الاستغفار (٢/٨٥) رقم ١٥١٨، وابن ماجه كتاب الأدب باب الاستغفار (٢/١٢٥٤) رقم ٣٨١٩.

(٤) أخرجه ابن ماجه كتاب الأدب باب الاستغفار (٢/١٢٥٤) رقم ٣٨١٨.

(٥) أخرجه البخاري في أبواب التهجد باب فضل الطهور بالليل والنهار وفضل الصلاة بعد الوضوء بالليل (١/٣٨٦). رقم ١٠٩٨، ومسلم في فضائل الصحابة باب من فضائل بلال رضي الله عنه (٤/١٩١٠) رقم ٢٤٥٨.

وفي الحديث اجتهاد بلال ﷺ على فعل الخير والمداومة عليه، قال ابن حجر: «يستفاد منه جواز الاجتهاد في توقيت العبادة؛ لأن بلالاً توصل إلى ما ذكره بالاستنباط فصوبه الرسول ﷺ»(١).

أما الكثير المنقطع ففيه تفويت للحقوق والواجبات، كما ثبت ذلك في حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: «قال لي رسول الله ﷺ: **«يا عبدالله ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل؟»** فقلت: بلى يا رسول الله، قال: **«فلا تفعل صم وأفطر وقم ونم، فإن لجسدك عليك حقاً، وإن لعينك عليك حقاً، وإن لزوجك عليك حقاً، وإن لزورك عليك حقاً، وإن بحسبك أن تصوم كل شهر ثلاثة أيام، فإن لك بكل حسنة عشر أمثالها، فإن ذلك صيام الدهر كله»**، فشددت فشدد علي، قلت: يا رسول الله إني أجد قوة، قال: **«فصم صيام نبي الله داود عليه السلام ولا تزد عليه»**، قلت: وما كان صيام داود عليه السلام، قال: **«نصف الدهر»**، فكان عبدالله يقول بعدما كبر: يا ليتني قبلت رخصة النبي ﷺ»(٢).

فنهى الرسول ﷺ عن صيام الدهر لما في ذلك من المشقة وتضييع الحقوق والواجبات سواء في خصوص النفس، أو في خصوص الآخرين كالزوجة والأقارب وغيرهم.

وفي المداومة على حلق الذكر زيادة في الإيمان، كما في حديث حنظلة الأسدي قال: لقيني أبو بكر فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قال: قلت: نافق حنظلة. قال: سبحان الله ما تقول؟ قال: قلت: نكون عند رسول الله يذكرنا بالنار والجنة حتى كأننا نراها فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عدنا إلى أزواجنا وأولادنا ومعاشنا فنسينا كثيراً، قال أبو بكر: فوالله إنا لنلقى مثل

---

(١) انظر: فتح الباري (٣/٣٤٤).

(٢) أخرجه البخاري كتاب الصوم باب حق الجسم في الصوم (٢/٦٩٧) رقم ١٨٧٤، ومسلم كتاب الصيام باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت به حقاً أو لم يفطر العيدين والتشريق وبيان تفضيل صيام يوم وإفطار يوم (٢/٨١٤) رقم ١١٥٩.

هذا، فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ قلت: نافق حنظلة يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: **«وما ذاك؟»**، فقلت: يا رسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا نراهما بأعيننا فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيراً، فقال رسول الله ﷺ: **«والذي نفسي بيده إنكم لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة»**[(١)].

وكان الصحابة ﷺ يحرصون على الجلوس للذكر ويسمونه إيماناً، قال معاذ بن جبل ﷺ لرجل: «اجلس بنا نؤمن ساعة»[(٢)].

ومما يدل على المداومة والاستمرار على حلق الذكر نهى الرسول ﷺ ترك المسلم ما اعتاده من النوافل، فقد ثبت أن الرسول ﷺ قال لعبدالله بن عمر رضي الله عنهما: **«يا عبدالله لا تكن مثل فلان، كان يقوم الليل فترك قيام الليل»**[(٣)].

قال ابن حجر معلقاً على الحديث: «قال ابن حبان: فيه استحباب الدوام على ما اعتاده المرء من الخير من غير تفريط، ويستنبط منه كراهة قطع العبادة وإن لم تكن واجبة»[(٤)].

وقال الإمام النووي: «المختار أنه يستكثر منه ما يمكنه الدوام عليه ولا يعتاد إلا ما يغلب على ظنه الدوام عليه في حال نشاط غيره»[(٥)].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري كتاب الرقاق باب ما يكره من ترك قيام الليل لمن كان يقومه (٣٧٨/١٥) رقم ١١٠١.

(٤) فتح الباري (٣٨/٣).

(٥) شرح صحيح مسلم (٤٣/٨).

ثم إن المداومة على حلق الذكر يعد تعاوناً على البر والتقوى وفعل الخيرات والقربات، ويحصل في الاجتماع والمداومة ما لا يحصل بالانفراد عادة، وأن المداومة على حلق الذكر سبب لنفي الكسل وطرد الغفلة والبعد عن الركون إلى الدنيا وغير ذلك.

وكذلك المداومة على حلق الذكر وسيلة من الوسائل الموصلة إلى محبة الله تعالى، وقوة الإيمان وتزكية النفس، ولكن يجب التنبيه على أمر مهم في هذا الشأن وهو عدم المبالغة في ذلك بحيث يصبح كالواجب والفرض.

أو أن المداومة على حلق الذكر شرط رئيس لذكر الله تعالى، أو يحصل بذلك سآمة النفس وتعريضها للملل، فالمطلوب الموازنة بين الأمرين، فلا يكلف الإنسان نفسه ما لا يطيق بل يسدد ويقارب.

المطلب الخامس:

إحصاء الذكر في الحلق

ومعنى إحصاء الذكر في الحلق: هو أن يقول أحد الحاضرين مثلاً سبحوا الله مائة مرة، فيستعملون النوى أو الحصى أو آلة كالسبحة ونحو ذلك في إحصاء الذكر.

وقبل بيان الحكم في هذه المسألة أوضح الآتي:

١ ـ وردت أخبار كثيرة عن المصطفى ﷺ ترغب المسلمين وتحثهم على الالتزام والمحافظة على أعداد محددة لبعض الأذكار المأثورة كالتسبيح والتحميد والتكبير والتهليل والاستغفار ونحو ذلك، ثم ربط الأجر العظيم لمن التزم في ذكره لله تعالى بتلك الأعداد المأثورة:

ومن ذلك ما رواه الإمام البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ قال: «جاء الفقراء إلى النبي ﷺ فقالوا: ذهب أهل الدثور من الأموال بالدرجات العلى والنعيم المقيم يصلون كما نصلي ويتصدقون بفضول أموالهم. . . قال:

ألا أحدثكم بأمر إن أخذتم به أدركتم من سبقكم ولم يدرككم أحد بعدكم وكنتم خير من أنتم بين ظهرانيه إلا من عمل مثله: تسبحون وتحمدون وتكبرون خلف كل صلاة ثلاثاً وثلاثين...»(١)

وما رواه الإمام مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد أفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك، ومن قال: سبحان الله وبحمده، في يوم مائة مرة حطت خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر»**(٢).

وحديث: كان رسول الله ﷺ يستغفر في اليوم أكثر من سبعين مرة(٣).

وما رواه أصحاب السنن والإمام أحمد من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: إن كنا لنعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة يقول: **«رب اغفر لي وتب علي، إنك أنت التواب الرحيم»**(٤)، وغيرها من الأحاديث الصحيحة.

وكما هو معلوم فإن هذه الأعداد تحتاج في إحصائها وعدها إلى استعمال الأنامل أو آلة كالسبحة أو الحصى والنوى ونحو ذلك.

---

(١) أخرجه البخاري كتاب صفة الصلاة باب الذكر بعد الصلاة (٢٨٩/١) رقم ٨٠٧، ومسلم كتاب المساجد وموضع الصلاة باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته (٤١٦/١) رقم ٥٩٤.

(٢) أخرجه البخاري كتاب الدعوات باب فضل التهليل (٢٣٥١/٥) رقم ٦٠٤٠، ومسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء (٢٠٧١/٤) رقم ٢٦٩١.

(٣) أخرجه البخاري كتاب الدعوات باب استغفار النبي ﷺ في اليوم والليلة (٢٣٢٤/٥) رقم ٥٩٤٨.

(٤) سبق تخريجه.

وقد ثبت استعمال الأصابع في عد التسبيح في الحديث الصحيح عندما قال الرسول ﷺ للنساء: «**سبحن واعقدن بالأصابع فإنهن مسؤولات مستنطقات**»[1].

وأما استعمال الحصى والنوى في عد التسبيح والتحميد والتكبير والاستغفار ونحو ذلك، فقد ثبت عن بعض الصحابة أنهم كانوا يستعملون الحصى والنوى، فروي أن الرسول ﷺ رأى أم المؤمنين تسبح بالحصى وأقرها على ذلك.

وروي أن أبا هريرة كان يسبح بالحصى.

وأما حكم التسبيح بالمسبحة، فاختلف العلماء في استعمال المسبحة في التسبيح، فمنهم من نقل الإجماع على إباحة التسبيح بالمسبحة وغيرها كالإمام السيوطي[2]، والشوكاني[3].

ومنهم من قال بالمنع، فقالوا: ثبت من هدي النبي ﷺ قولاً وفعلاً وتقريراً عد الذكر بالأنامل أصابع اليد لا غير، ودرج على ذلك الصحابة رضي الله عنهم أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يومنا هذا، فهو من العمل المتوارث لدى الأمة تأسياً بنبيها ﷺ دونما حاجة إلى وسيلة أخرى من حصى أو نوى أو سبحة منظومة أو آلة مصنوعة[4].

وطائفة ثالثة فصلت في حكم استعمال المسبحة في التسبيح، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما التسبيح بما يجعل في نظام من الخرز ونحوه، فمن

---

(١) أخرجه أبو داود أبواب قراءة القرآن وتحزيبه وترتيله باب التسبيح بالحصى (٨١/٢) رقم ١٥٠١، والترمذي كتاب الدعوات باب ما جاء في عقد التسبيح باليد (٥٢١/٥) رقم ٣٤٨٦.

(٢) تحفة الأحوذي للمباركفوري (٣٢٢/٩).

(٣) نيل الأوطار (٣٥٩/٢).

(٤) انظر: تصحيح الدعاء ص١٣٦، ٢٠٢.

الناس من كرهه ومنهم من لم يكرهه، وإذا أحسنت فيه النية فهو حسن غير مكروه»[١].

ثم بيَّن رحمه الله إذا اتخذ من غير حاجة بأن أقل أحكامه الكراهة فقال: «وأما اتخاذه من غير حاجة أو إظهاره للناس مثل تعليقه في العنق أو جعله كالسوار في اليد أو نحو ذلك، فهذا إما رياء للناس أو مظنة المراءاة ومشابهة المرائين من غير حاجة، الأول: حرام، والثاني: أقل أحواله الكراهة، فإن مراءاة الناس في العبادات المختصة كالصلاة والصيام والذكر وقراءة القرآن من أعظم الذنوب»[٢].

وبناءً على هذا، فالإمام ابن تيمية يرى أن حكم استعمال المسبحة في التسبيح حسن بشرط إخلاص النية وعدم المراءاة للناس؛ لأن استعمالها من غير حاجة أو إظهارها في اليد واللعب بها ونحو ذلك فإن أقل أحوالها الكراهة.

وسئل الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله عن حكم استعمال المسبحة في التسبيح وهل استعمالها بدعة؟ فبين أن استعمال المسبحة في التسبيح ليس بدعة دينية، ورد على من قال ذلك بقوله: السبحة ليست بدعة دينية وذلك؛ لأن الإنسان لا يقصد التعبد لله بها، وإنما يقصد ضبط عدد التسبيح الذي يقوله أو التهليل أو التحميد أو التكبير، فهي وسيلة وليست المقصودة.

ثم بيَّن رحمه الله أن استعمال التسبيح بالأصابع أفضل من استعمال المسبحة، فقال: ولكن الأفضل منها أن يعتقد الإنسان التسبيح بأنامله ـ أي: أصابعه ـ لأنهن مستنقطات كما أرشد إلى ذلك النبي ﷺ ولأن عد التسبيح ونحوه بالمسبحة يؤدي إلى غفلة الإنسان، فإننا نشاهد كثيراً من أولئك الذين يستعملون المسبحة نجدهم يسبحون وأعينهم تدور هنا وهناك، لأنهم قد

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٢/٥٠٦ ـ ٥٠٧).

(٢) المصدر السابق (٢٢/٥٠٦ ـ ٥٠٧).

جعلوا عدد الحبات على قدر ما يريدون تسبيحه أو تهليله أو تحميده أو تكبيره، فنجد الإنسان منهم يعد هذه الحبات بيده وهو غافل القلب يلتفت يميناً وشمالاً بخلاف ما إذا كان يعدها بالأصابع فإن ذلك أحضر لقلبه غالباً.

الشيء الثالث: أن استعمال المسبحة قد يدخله الرياء، فإننا نجد كثيراً من الناس الذين يحبون كثرة التسبيح يعلقون في أعناقهم مسابح طويلة كثيرة الخرزات، وأنا أستغفر الله أتهمهم بهذا لكن يخشى منه، فهذه ثلاثة أمور كلها تقتضي بأن يجتنب الإنسان التسبيح بالمسبحة وأن يسبح الله سبحانه وتعالى بأنامله(١).

وخلاصة القول: فإن حكم استعمال المسبحة في التسبيح الإباحة إذا أحسنت فيه النية وسلم مستعملها من المراءاة.

أما حكم إحصاء الذكر في الحلق كأن يقول أحد الحاضرين: سبحوا الله مائة مرة سواء كان باستعمال آلة كالسبحة أو الحصى والنوى أو بالأصابع ونحو ذلك:

فالحكم في هذه المسألة المنع وعدم الجواز وذلك للأمور الآتية:

- أن هذه الصورة ـ أعني: إحصاء الذكر في الحلق ـ لم ترد عن سلف الأمة بل أنكروها وشددوا الإنكار على من يفعلها، فعبدالله بن مسعود ﷺ رأى قوماً في حلقة يقول أحدهم: كبروا الله مائة مرة سبحوا الله مائة مرة... فبين لهم بأن صنيعهم هذا يفتح باب: ضلالة والأولى لهم إحصاء سيئاتهم.

روى الدارمي قال: أخبرنا الحاكم ابن المبارك، أنبأنا عمرو بن يحيى قال: سمعت أبي يحدث عن أبيه قال: كنا نجلس على باب عبدالله بن مسعود قبل صلاة الغداة فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد فجاءنا أبو موسى الأشعري

---

(١) فتاوى ورسائل ابن عثيمين المجلد الثالث عشر رقم الفتوى (٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦٣).

فقال: أخرج إليكم أبو عبدالرحمن بعد؟ قلنا: لا، فجلس معنا حتى خرج، فلما خرج قمنا إليه جميعاً، فقال له أبو موسى: يا أبا عبدالرحمن إني رأيت في المسجد آنفاً أمراً أنكرته، ولم أر والحمد لله إلا خيراً، قال: فما هو؟ فقال: إن عشت فستراه، قال: رأيت في المسجد قوماً حلقاً جلوساً ينتظرون الصلاة في كل حلقة رجل، وفي أيديهم حصى فيقول: كبروا مائة فيكبرون مائة، فيقول: هللوا مائة، فيهللون مائة، ويقول: سبحوا مائة فيسبحون مائة، قال: فماذا قلت لهم؟ قال: ما قلت لهم شيئاً انتظار رأيك أو انتظار أمرك، قال: أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم، ثم مضى ومضينا معه حتى أتى حلقة من تلك الحلق، فوقف عليهم فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعونه؟ قالوا: يا أبا عبدالرحمن حصى نعد به التكبير والتهليل والتسبيح، قال: فعدوا سيئاتكم فأنا ضامن لكم أن لا يضيع من حسناتكم شيئاً، ويحكم يا أمة محمد ما أسرع هلكتكم، هؤلاء صحابة نبيكم ﷺ متوافرون وهذه ثيابه لم تبل وآنيته لم تكسر، والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد أو مفتتحي باب ضلالة، قالوا: والله يا أبا عبدالرحمن ما أردنا إلا خيراً، قال: وكم من مريد للخير لن يصيبه، إن رسول الله ﷺ حدثنا أن قوماً يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، وأيم الله ما أدري لعل أكثرهم منكم ثم تولى عنهم، فقال عمرو بن سلمة: رأينا عامة أولئك الحلق يطاعنوننا يوم النهروان مع الخوارج[(١)].

- إن هذا الإحصاء وبهذه الطريقة الجماعية فيه مظنة الرياء والسمعة وانشغال القلب عن التأمل والتفكر في التسبيح والتحميد والتهليل والاستغفار.
- إن هذا الإحصاء بهذه الطريقة فيه غلو وتشدد ولهذا قال عمرو بن سلمة: رأينا عامة من يفعلون ذلك يقاتلوننا في النهروان، أي: أدى بهم هذا إلى فكر الخوارج والذي فيه من المنكر والغلو في الدين.

---

(١) سنن الدارمي باب كراهية أخذ الرأي (٧٩/١) وصححه الألباني. انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة (١١/٥ ـ ١٤) رقم ٢٠٠٥.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين:

فبعد الرحلة الماتعة مع هذا الموضوع «حلق الذكر حكمها وأثره على العقيدة الإسلامية» أقف على أهم النتائج:

١ ـ أن ذكر الله تعالى هو قول سيق للثناء والدعاء، وتعبدنا الشارع بلفظ منا يتعلق بتعظيم الله تعالى، والثناء عليه بأسمائه وصفاته وتوحيده وشكره وتعظيمه، أو بتلاوة كتابه، أو سؤاله ودعائه.

٢ ـ أن حلق الذكر تشمل جميع أنواع الذكر من تسبيح وتحميد واستغفار وتهليل وقراءة القرآن الكريم، والدعاء بخيري الدنيا والآخرة، والدروس العلمية وتذكير المسلمين بأمور دينهم ووعظهم وإرشادهم ونحو ذلك.

٣ ـ أن ذكر الله تعالى عبادة عظيمة تظاهرت الأدلة على فضله وعلو منزلته ومكانته في الشريعة الإسلامية، وفي فوائده الكثيرة والمتنوعة على الذاكرين الله تعالى والذاكرات.

٤ ـ تظاهرت الأدلة على مشروعية الاجتماع للذكر بل واستحبابه والندب إليه، وبيَّنت ما يحصل الذاكرين عليه من غفران الذنوب وزيادة الإيمان.

٥ ـ مشروعية الجهر بالذكر؛ لأن فائدته تتعدى السامعين، ولأنه يوقظ قلب القارئ ويطرد النوم، أما رفع الصوت المبالغ فيه والمنافي للخشوع والتذلل فيمنع؛ لأن فيه تشويشاً على المصلين والتالين ونحو ذلك.

٦ ـ أن الاجتماع والتحلق للذكر وسيلة من الوسائل المعينة على ذكر الله تعالى، والوسائل لها حكم الغايات، فإذا كان الاجتماع على أوراد وأذكار بدعية زعم أصحابها أن لها فضلاً عظيماً على الأذكار المأثورة وقراءة القرآن الكريم وصاحب تلك المجالس منكرات ومخالفات شرعية ففي هذه الحالة يحرم الاجتماع، بل ويأثم من يحضر تلك المجالس؛ لأنها أقرب إلى اللعب واللهو من كونها عبادة الصالحين والزهاد.

أما إذا كان الاجتماع على قراءة القرآن الكريم أو الأذكار المأثورة أو على الدروس العلمية وتذكير المسلمين ووعظهم وإرشادهم، ففي هذه الحالة يجوز الاجتماع، بل ويستحب لما في هذه المجالس من الأجر العظيم والثواب الجزيل وغفران الذنوب.

٧ ـ لا بأس بالذكر الجماعي إذا صاحبه خضوع وتذلل من الذاكرين، وعدم رفع الصوت المبالغ فيه الذي يشوش على الآخرين.

٨ ـ أن إهداء الذكر الجماعي حكمه المنع؛ لأنه محدث وبدعة ويفتح باباً لأناس يستأجرون أقواماً يقرؤون القرآن الكريم ثم يهدون ثوابه للميت.

٩ ـ أن المداومة على حلق الذكر حكمها كحكم الاجتماع لذكر الله تعالى لعموم الأدلة الدالة على مشروعية المداومة على فعل الطاعات والترغيب في المحافظة على النوافل وأعمال البر.

١٠ ـ منع إحصاء الذكر في داخل الحلق؛ لأنه مظنة للرياء والسمعة، وفيه تكلف وتشدد وغلو، ولهذا أغلظ ابن مسعود ﷺ القول على أهل هذا الفعل وبيَّن أنه يفتح باب ضلالة.